@ketab_n

جوار الثقافة
الثقافة جوار

15.1.2015

بسكال فريبوس

في ضيافة هنري ميلر

ترجمة : سعيد بوكرامي

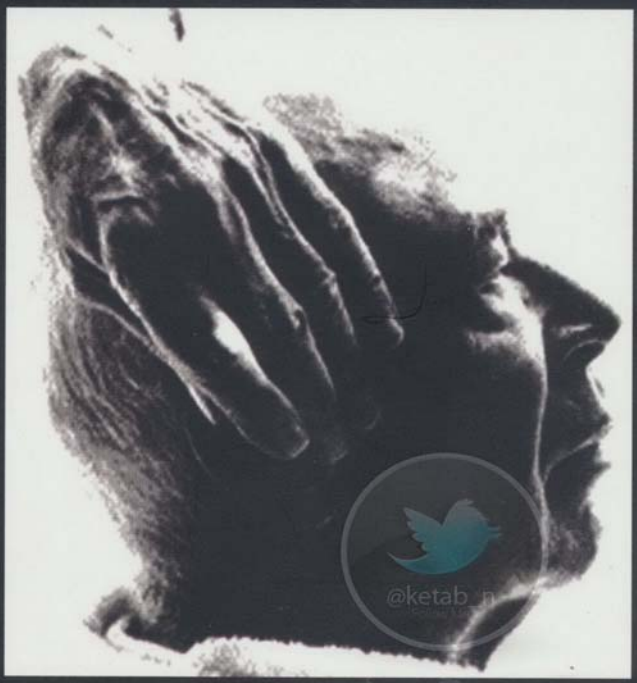

@ketab_n

تارنة

حوار الثقافة
الثقافة حوار

بسكال فريبوس

في ضيافة هنري ميلر

سيرة حوارية

@ketab_n

ترجمة : سعيد بوكرامي

مأمونة

Twitter: @ketab_n

في ضيافة هنري ميلر

Twitter: @ketab_n

هذه هي الترجمة الكاملة لكتاب

Pascal vrebos

Henry Miller

Ultimes entretiens

باسكال فريبوس

في ضيافة هنري ميللر

ترجمة : سعيد بوكرامي

الطبعة العربية الأولى 2006

رقم الإجازة المتسلسل : ٢٠٠٦/١/١٢٤

حقوق المترجم محفوظة

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : ٥٥٢٢٥٤٤

ص. ب : ٩٥٠٢٥٢ عمّان ١١١٩٥ الأردن

شارع وادي صقرة، عمارة الدوحة، ط ٤

E.Mail:info@azminah.com

Website:http://www.azminah.com

تصميم الغلاف: أزمنة (الياس فركوح)

فرز وسحب الأفلام: Dots

الترتيب والإخراج الداخلي: أزمنة (نسرين العجو ، إحسان الناطور)

تاريخ الصدور: حزيران / يونيو 2006

Twitter: @ketab_n

المحتوى

اللقاء الأخير 7

النظر إلى الحقيقة 11

كيمياء سرية 29

كل شيء لغز وسر خفي 41

عصرالقتلة 53

عاشق الحرية 75

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

اللقاء الأخير

لم لا نلتقي ؟ يقترح عليّ هنري ميلر في إحدى رسائله .

وبعد أسبوعين وجدت نفسي عنده ، أمام فيلته البيضاء الهادئة ، عند الطرف الآخر من العالم ، وذلك خلال شهر فبراير من عام ١٩٧٩ .

مروري صادف انتهاء الشتاء وبداية فصل الربيع . وهذا له دلالة رمزية عن العبور من أسطورة ميلر إلى ميلر بلحمه وعظمه وروحه .

كنت قد دخلت عالم ميلر الأدبي من خلال باب (مدار السرطان) .

وكانت بالنسبة لي رَجَّة عنيفة وأنا في العشرين من العمر . هذه الرحلة في أقاصي التفسخ ، هذه اللغة الفجة والمتوهجة التي تنسحق إلى حدود الرغبة .

خلال السنوات التي تلت قرأت كل أعمال ميلر من (الوشيجة : الصلب الوردي) إلى (أرق) وتوقفت عند رائعته (أعمدة الماروسي) . بعدها كتبت له رسالة ، عشرات الأسطر ، أشكره فيها ببساطة على أعماله وحياته .

لم أكن أنتظر أي رد لأنه لم تخطر ببالي أية إمكانية لمحاورة ميلر .

Twitter: @ketab_n

ميلر بالنسبة لي يبقى خيالاً بعيداً، تقريباً أسطورياً، وعجوزاً خارقاً، وهو على بعد خطوتين من الموت، مسيّج بكتبه عن الحياة، ومدلل بموكب من اللوتيتات اليابانيات والمعجبين والغايشات اللواتي أغرتهن رائحة الدولار.

بعد عشرة أيام، وصلت رسالة ميلر. هل هو حقاً ميلر أم أنه رد من سكرتيرته أو إدارته ؟

لا هذا ولا ذاك. إنه هو بنفسه وبيده وبالحبر الأسود وبخطه المعتاد اللامبالي، وبلغة نصف إنجليزية ونصف فرنسية. لقد استطاع إذن أن يبتلع طعم الآخر.

هكذا بدأت المراسلات بيننا وبعد ثلاث من رسائلي.

أرسل إليّ رسالة يعتذر بأن لا أكون عنيداً، قائلاً: (تعرف. أنا غارق في العمل)

وذات يوم: (لم لا نلتقي ؟...)

هكذا التقينا، وعدت بملاحظات وملاحظات وتسجيل، لكن على الخصوص عدت برأس مترنح بالانفعالات والصور المرتجة.

لكن كيف ـ بدون دفع ضريبة لامحدودة من الغرور والرعونة ـ أجرؤ على كتابة مقابلة بين شاب مجهول وشخص أسطورة. وحين حاول الأول أصبح محاصَراً بالثاني. وبذلك أصبح الضيف يتحدث أكثر من المضيف؛ فبعدما حاول أن يكون متكتماً غدا هدفاً سهلاً أمام الكاتب الأسطورة ؟

خلال ستة أيام تحدثنا واستمعنا لبعضنا البعض. هو بفمه النصف مفتوح وعينه الوحيدة، يسألني بلا هوادة، يعلك حياتي ثم يجترها معلقاً عليها ومتجاوزاً إياها، وأنا بدوري أحاصره بأسئلتي، أطارد ذكرياته وأكشف تكهناته.

Twitter: @ketab_n

في اليوم الأول تحدثنا، وحلمنا خلال ساعات دون أن نأخذ حتى الوقت لشرب الشاي الذي أعدته سكرتيرته (صاندي).

يكبرني ميلر بثلاث مرات، ومع ذلك كان يكاد يختنق من شدة الضحك أثناء كل (مزحة) تفصل خطابنا المتدفق بصوته الأجش وهمهمته الشهيرة. يقهقه وهو يستمع إلى حكاياتي كما لو أن شخوص حياتي الصغيرة قد صادفت شخوصه على رصيف مقهى القبة، أو داخل حانة في بروكلين، أو أمام أطلال الكنسوس.

صوت ميلر المقتَنص بالميكروفون خلال بضع ساعات يجلجل في رأسي مثل قصة خيالية. الذكريات وحدها تبقى حقيقية.

عند الظهيرة، أخذنا الطريق عبر المحيط الهادي. كان هادئاً ومسيجاً، تستغرق الرحلة ساعة بالسيارة من سانست بولفار. على يميننا أوهام هوليود: قطارات تنزاح عن السكة بإرادتها، منازل تحترق على الخريطة، أسماك قرش بلاستيكية تفتك بلحم وهمي؛ أما على يسارنا فأذرع وآلات نقود وملوك البورغر.

توجد دارة بيضاء داخل شارع أوكامبو الفسيح المحفوف بالأشجار المستقيمة على طول بساط العشب الأخضر تحمل رقم ٤٤٤. يراقبنا في شرفته كلب أسمر. بالباب لوحة مسمرة مكتوب عليها: (عندما يكبر شخص ويكون قد أدى واجبه على هذه الأرض له الحق في أن يستعد للموت بسلام، فهو ليس بحاجة إلى رؤية الناس، لقد رأى منهم ما يكفيه وعرف منهم ما يكفيه. فلا فائدة من الذهاب لرؤيته وإزعاجه بالثرثرة والسخافات، يجب أن نمر بجانب بيته وكأن لا أحد بداخله.).

هذا غير مشجع. أدق الجرس. سيدة شابة تفتح الباب وترمينا بنظرة صارمة وبعض الكلمات الواصفة، ثم بحركة جافة تدلنا على غرفة واسعة على حيطانها رسوم مائية لميلر. في الداخل باب كبير يؤدي إلى مسبح.

Twitter: @ketab_n

ـ انتظرا قليلاً .

قالت أخيراً واختفت داخل الرواق . مرافقتي المخرجة سبق وحذرتني من نسوة كالفهود يحرسن ميلر ، لكننا وجدنا أنفسنا أمام حارسة وحيدة لسجين بالمؤبد .

Twitter: @ketab_n

النظر إلى الحقيقة

وجهت نظرة قلقة إلى مرافقتي نينو وفجأة سمعنا ضوضاء آتية من الدرج، إنه هو، كلاط . . كلاط، يتقدمه صوت العصا، كلاط . . كلاط وصوت النعلين الرصاصيين ؟ إنها تقترب داخل كوة الباب، إنه يقترب مستنداً إلى حلقة حديدية تساعده على المشي، يتعجب مبتسماً: (آه هذا أنت !) يأخذ في نفس الوقت يديّ وذراعيّ وكتفيّ ويقبلني يقبل نينو أيضاً ويواصل كلامه: (كيف ننطق اسمك فريبس، فربوس، فربووس، فريبوس) وهو ينطق اسمي بمختلف الطرق الصوتية، ويصنع حركات بفمه انفجرنا مقهقهين فاختفى التوتر.

ـ آه اجلسا . . . اعذراني على هذا التأخير. كنت أشرب حساء القمح، طعام الاطفال والشيوخ، أنا مدلل من سكرتيرتي. قال ذلك وهو يقلد الوجه الشرس الذي فتح لنا الباب قبل قليل:

ـ تبدو شاباً.

ـ شاب عمره أربعة وثمانون سنة. . رجلي وهنت، ترياني أمشي بمساعدة هذا الشيء، وعيناي ضاع بصرهما، أقرأ الآن بعين واحدة وهذا أمر قاس جداً. يهمهم ميلر، يعطيني ذلك هيأة قرصان، أنت أيضاً أحسر؟

Twitter: @ketab_n

ـ ضعف قليل في النظر.

نادى ميلر صاندي ذات الوجه المقطب:

ـ نتناول قليلاً من الشاي. لابد أن هذين البلجيكيين قد عطشا بعدما قطعا كل هذه المحيطات، أليس كذلك؟

ـ حنجرتي جافة بسببكم أنتم، أنا أمام أسطورة ميلر.. هذا مرده إلى ذلك اليوناني الذي وجد نفسه وجهاً لوجه أمام جوبيتر من لحم وعظم!

ـ أوه أثينا هذا أفضل!

الأسطورة التي أمامي ترتدي ألواناً فاتحة ومرحة: مئزر بمربعات، قميص أصفر، وبانتوف أزرق.

قلت كمدخل للعبة الحوار:

ـ أنتم صنعتم بصبر أسطورتكم.

ـ لا أبداً! يجيب ميلر مستغرباً وهو يبحث عن نظرتي لإقناعي.. يهمهم.. أنا ضحية أسطورتي ذاتها. والضحية البريء لكتبي أيضاً، إنني لم أكتبها لكي أصير أسطورة، فقط، ولكن لكي أنبعث من داخلها... الأسطورة في حد ذاتها هي الإنهاك المستمر بسبب هذه الرسائل وهذه الطلبات المتنوعة.

ـ وهل كنت تفضل لو بقيت مغموراً؟

ـ لا أدري... لكن النجاح أحياناً أفظع من الفشل، في اليوم الواحد أتوصل بحوالي خمسين بطاقة ورسالة وطرداً: مكرونة إيطالية، طحين حساء، مركز طماطم، أحذية، مشط، منظف الشعر، وحتى عوازل طبية!

الأشخاص الذين يقرؤون كتبي ما بين ١٩٣٥ و١٩٥٠ يعتقدون أنني ما زلت متسولاً! أليس هذا مدهشاً؟ اليوم أقدم وأوزع وأطلب من

Twitter: @ketab_n

الأشخاص: هل أنت محتاج لبعض الدولارات؟ فيجيبون: آه نعم. وأعطيهم بعض الدولارات...

ـ إذن تقضي معظم وقتك في الرد على قرائك.

ـ لا! سكرتيرتي ترسل بطائق بريدية تكتب عليها بالآلة الكاتبة: (لدي اختيار بين إمكانيتين، إما أن أجيبك أو أرسم لوحة جديدة وهذا ما تطيب له روحي، فإذا لم تتوصل بالإجابة فاعلم إني اخترت الإمكانية الثانية).

ـ أنا محظوظ لأنك أجبتني.

ـ نادر جداً، فرسالتك الأولى حركتني دون شك، لأنها كانت محايدة، لا تطلب شيئاً. تعرف أني أحب كتابة رسالة لشخص عندما أحس بشغفي لذلك أو أحس بإحدى حماقاتي.

يبتسم ميلر. فكرة ما اخترقت تفكيره، يخرج صوراً من الدرج ويقول متعجباً:

ـ أنظر إلى هذه: إنهم الألمانيون، يرسلون إليّ صورهم لكي أوقع عليها وأعيدها إليهم، غير أني أحتفظ بها ولا أجيبهم. أنظر، لي كل ألمانيا في هذه الصور، أنظر!

يمد لي الصور. أصحابها يبدون كالسجناء أو المحكومين بالإعدام، سيماؤهم كئيبة ووجوههم منتفخة، جلدهم منخور بوميض التصوير.

قهقه ميلر وقال:

ـ أتراني أكتب إهداء على هذا!

أحضرت لنا صاندي فناجين الشاي دون أن تنبس بكلمة.

ـ كيف تفسر هذا النجاح العالمي؟

ـ نجاح متأخر، أنت تعرف: لقد انتظرت أن أبلغ الستين لكي أتمكن من

Twitter: @ketab_n

العيش من كتبي. حياتي كانت متلاطمة بين الأعلى و الأسفل والأغلب في الأسفل . . . الحرب هي التي أنقذتني.

يبتسم ميلر أمام وجهي المفاجأ. يحب مفاجأة الآخر، بإقحام مؤثرات في خطابه.

ـ لكنكم لم تشاركوا في أية حرب! في الأربعين كنتم تكتشفون اليونان.

ـ صحيح. عندما كان الرعب يكتسح أوربا كان نور اليونان يفتح عينيّ، همم. . . وأمام قبر أغاممنون كنت أصرخ مع كاتسيباليس: (سلام لكل الناس وحياة أكثر خصباً!) ندائي لم يكن له أي صدى. في تلك الفترة كان الدم يتدفق والشيطان يسفكها. وفي نفس الوقت كان الجنود يقرؤون (مدار السرطان) وهي تحت معاطفهم. وبعد انتهاء الحرب جاء الجنود الأمريكيون إلى باريس ليقتنوا كتبي، فبدون هذه الحرب ربما لم يكن بإمكاني الوصول إلى هذا النجاح.

فظيع أليس كذلك ؟ لقد عانيت أيضاً، كنت أسير في شوارع مدينتي نيويورك أبحث عن بعض السنتات، عن كسرة خبز، أو عن عمل أو عن ركن حيث أهوي بجسدي المنهك. لقد قطعت آلاف الأميال ببطن فارغ مثل متسول . . . وبدون طائل! في نيويورك أعرف كل المطاعم. ليس لأنني أكلت بها، بل لأنني تفرست وجوه الزبائن الآخذين في ملء بطونهم. أحياناً كنت أفكر أنني خُلقت جائعاً!

أتخيل من خلال وجهه الهادئ المليء بالحيوية داخل المئزر ذي المربعات ميلر ابن الخامسة والعشرين المتسكع الأبدي من غرفة فندق إلى آخر وبصحبته نجمته السوداء جان تمسكه حمّى البحث عن مشروع أدبي كان يحسه يغلي في دواخله رغم أنه لم يأخذ بعد شكلاً معيناً. ألمحه داخل كوخه القذر بـ (رامسن ستريت) منهاراً وسط شظايا الزجاجات والقيء

Twitter: @ketab_n

وبقايا أشياء متعذرة على الوصف، ثم قرب غاردن بلاس، وسط الأزيال، وها هو المالك يأتي مهدداً إياه بالطرد. ولكي ينتقم ميلر يحضر هنري وجان وأبناء صديقهم ستانلي بروفسكي ويدعوهم لتحطيم كل ما يصادفونه أمامهم، يالها من لعبة حلمية لهؤلاء الأطفال اللامحتملين! يلقون الطماطم فوق ورق الجدران، يكسرون البيض فوق الخزانات والنوافذ، يلطخون بالمربى أرضية البيت وبالقشدة الطرية البسط، يقتلعون قبضات الأبواب، يحرقون الستائر، يمزقون السماطات، ويقفزون فوق الأسكفّات إلى أن تتحطم. بينما جان وهنري يرحلان دون أن يتركا أي عنوان.

ـ في العمق أنتم نشأتم في شوارع بروكلين صحبة أبناء الشوارع مثل قطاع الطرق الأمريكيين؟

ـ نعم، لكن طفولتي أنا كانت فرحاً لا محدوداً، في المقاطعة ١٤ ببروكلين حيث نشأت. ولدت في الشارع، هذه حقيقة ولدي إحساس أني ما زلت هناك: في نيويورك، في باريس... الشارع هو الحرية في اللقاءات والتصرفات. إنه الحلم أيضاً تعلمت الحياة فيه ومن أصدقائي أيضاً: إدي كارني الذي ورّم عيني بالضرب، لستر ريالون، جوني بول، ماط أون، هاري مارتان، بوب رمزاي، هذا الأخير كان ابن قس، كان شخصاً فريداً، لا يؤمن بالله عكس والده... لقد وصفته في فصل ربيع حالك.

(أتذكر أن كل الناس كانوا يحبون روب رمزي ـ كان الابن العاق للأسرة، نحبه لأنه كان بدون كفاءة ولا يهمه شيء.

يوم الأحد أو يوم آخر، كانت كلها سيان بالنسبة إليه. كنا نراه يتسكع في الشارع تحت سقيفات

Twitter: @ketab_n

المحلات الواطئة، سترته فوق ذراعه والعرق يتصبب من وجهه. قدماه تطفوان مع تمايلات مطولى لبحار يجمع أشرعة السفينة بعد رحلة طويلة. عصارة مضغ التبغ تقطر من فمه ومعها في نفس الوقت شتائم عنيفة وفاحشة ـ وأشياء أخرى صاخبة ومقززة...)

أليس غريباً أن لا أتوصل بأي معلومات عنهم رغم أني أصبحت معروفاً في العالم بأسره؟ على الأقل بطاقة من أحدهم يقول فيها: (هيه هنري أنا بوب رمزي) ربما يعتقدون أن هنري ميلر الكاتب شخص آخر غيري!

عندما أخذ ميلر يستحضر أصدقاءه الصعاليك في بروكلين توقدت نظراته: بروكلين الجنة؟ جنة اللعب والمغامرات وسط ديكورات رعاة البقر.

غير أنني عندما تجولت في الليل والنهار ببروكلين الجنة، صدمني العنف المدمر في الخربشات الحائطية، ومن تلك الوحشية المنبعثة من أزقة مخربة وسلالم النجدة المظلمة ومن حيث تحوم الأوراق المشحمة.

أما قرب نيولوتس فهناك مناظر محطمة لبيوت مبقورة: آجور، أخشاب، خرداوات، صناديق الورق المقوى، قنينات مختلفة تغطي الأرض، أغصان مقطوعة، أشجار مقتلعة، كائنات تذهب وتجيء، أيديها في جيوبها مستعدة لإخراج سكين أو مسدس، ورائحة البول القادمة من محطات المترو ذات الحيطان الملطخة بكلام فاحش يعبر عن ذهنية للسفاحين والمغتصبين.. اندهش ميلر من وصفي لبروكلين، فصاح:

ـ من قبل كانت جميلة، كنا نعيش في طمأنينة، كل هذا تغير كأمريكا كلها.

بلا تمهيد سألته:

ـ هل مازلت تفكر بأمك؟

Twitter: @ketab_n

ـ أوه ! أمي . . .

باستئثار وبرودة يستأنف ميلر كلامه :

ـ لقد كرهتها كثيراً .

صمت ميلر وأحسست أنه لا يريد المزيد من الكلام في هذا الموضوع .

أمه وظلها المهدد يلاحقان ديكور بروكلين وطفولته . أتذكر جملتين لميلر يقول في الأولى : (ولدت في مستنقع قيء) والثانية : (كان الأفضل أن تنزلق أمي على الدرج صباح ٢٥ ديسمبر ليتهشم عنقها ، كنت عندها سأرحل بلا رجعة) .

يعترف ميلر أنه لم يعرف أبداً حب الأمومة ولا حنانه وقبلاته . كان يقترف كل الأفعال التي كانت تزدريها والتي دفعتها حتى نهاية عمرها أن لا تؤمن به أبداً ، لا بالإنسان ولا بالكاتب ، وهي التي لم تقرأ أبداً سطراً واحداً لابنها .

حدس ميلر ما يدور في ذهني ، فقال :

ـ تعرف ، عندما أعلنت لأمي قراري بأن أصبح كاتباً ، اتخذت موقفاً أكثر ذعراً وكأنني أعلنت لها إني سأصبح مجرماً .

كان ميلر يتخيل أمه تسممه حين كان طفلاً ، بل إنها أرضعته الأذى الذي بقي دائماً سمه في عروقه .

في كتبه يصف أمه مثل وباء بارد : عديمة العاطفة متزمتة ، مستبدة ودائماً مستاءة .

ـ هل هذا غريب ـ يتابع ميلر ـ أرى الآن صورة مختلفة عن أمي . عندما دفنا جدي ، أبدت حزناً عنيفاً حتى كادت تسقط الجثة من النعش . كانت تبكي بحرارة ودموعها تغمر الفقيد . خيل إلي أن جدي من يبكي في مراسم دفنه .

Twitter: @ketab_n

ـ في كتابكم : (الأم والصين والعالم الآخر) تخيلت موت أمك .

ـ أمي أيضاً ! أرى أمي بعد موتي ولأول مرة تستقبلني هناك بحرارة وقبلات . هذا هو حوارنا الوحيد . أكتشفها ونتصالح . هكذا ينتهي النص حسب ما أتذكر :

ـ (*أمي ، أحبك ! أحبك !*) وحده الأدب يمكننا من عقد مصالحة بين الأحياء والأموات .

ـ آه ، تذكرت أنكم ارتكبتم جريمة قتل بقيت بدون عقاب .

ـ أنا ! لا أبداً ، قتلت أشخاصاً في خيالي فقط .

ـ تذكر في بروكلين وأنت تلهو صحبة أصدقائك .

ـ أدركت ما تقصده .

ـ جريمة القتل هذه كانت حقيقية أم استيهاماً نظراً للإحساس بالذنب؟

ـ أوه ! للأسف كانت حقيقية ! كنا نتعارك بالحجارة ، مجرد لعب ، وفي أحد الأيام في (يوركفيل) قتلنا فتى بضربة على الصدغ وهربت أترنم ، لكني لم أحس مطلقاً بالذنب ، وبعد ذلك انهمكت في أكل خبز الشيلم بالسكر وكأن شيئاً لم يحدث ، وأنت هل قتلت أحداً ؟

ـ ليس بعد . قلت وأنا أضحك .

ومع ذلك فحكايته سببت لي انزعاجاً حقيقياً . فداخل حمم الماضي ، أحسست بذكرى هاربة ، تحاول أن تطفو على السطح . لاحظ ميلر ذلك فألح :

ـ في مرحلة ما تكون لدينا الفرصة لنكفر عن شقاوات الطفولة .

ـ أجل أتذكر . انبجست الصورة الآن من الزمن السحيق ـ كمن لي ميلر بالمرصاد ـ في صيف حار كنت ألعب صحبة بنت جيراننا ، نلعب لعباً

Twitter: @ketab_n

بريئاً، كنا ندغدغ هريرات مكومة جنب بعضها البعض داخل سلة من السوخر، تخرخر مستسلمة للنوم: (انظري إنها شفيت!) هكذا بدأت لعبتنا.

لميلر وجه يشبه وجه حكيم تبتي. ذكرى هذه الجريمة القديمة منحته مسحة من البراءة. الملاك أرقد الوحش، والقاتل تحول إلى قديس.

ـ أحب نظرتك البريئة، كما أن رسوماتك احتفظت ببريق سذاجة الطفولة. فكرت أيضاً في آخر جملة في روايتك (أرق): (*وحده البله حر في أن يسبر الهاوية ويلغي الفضاء، براءته تحميه مستغنياً عن كل رقابة*).

يوافق ميلر برأسه:

ـ ملاك يمرّ (لكن ربما أبله ؟).

ـ تعرف ـ يتابع ميلر ـ هنا في الولايات المتحدة الأمريكية يخافون المجانين لهذا يحبسونهم وينومونهم. أتذكر أن في باريس صادفت عدداً منهم في الشارع، في المقاهي. كان هذا الشذوذ يبهرني، يفككون أرواحهم وعوالمهم أمام رقاقة وقهوة بالحليب. يتركون بحرية مثل (أحمق القرية) الذي هو في العادة حكيم الجماعة! الجنون هو انعكاس عنا بين الآخرين. وبين المبدعين المجانين كثر إلا إذا كان الآخرون الذين يهنئون بعضهم البعض بأنهم أسوياء هم الأكثر حمقاً!

ـ لقد احتجزوا آرتو لأجل شذوذه. وبعد سنوات أصبحت أعماله إنجيلاً يرجع إليه الناس.

ـ آه أرتو! رأيته بصحبة أنييس نين في باريس. كان يلقي محاضرة وكان وجهه الهزيل يتغضن ويعرق وينتفض، كان يطلق صراخاً ويصدر صوتاً حاداً. الزوار يغادرون القاعة الواحد تلو الآخر، مصابين بالذعر، كانوا مهووسين بالهرب وكنت شديد التأثر. لم يكن يقول جنونه بل كان يعيشه

Twitter: @ketab_n

كما الوردة التي تعيش جمالها القصير.

ـ أفكر في عمتك التي احتجزت في الأخير بالمستشفى. كانت تكلم الأبقار وتصرخ في وجه القمر.

ـ هذا صحيح، أعتقد أنها أثناء مشاهدتها للقمر فقدت عقلها. كانت تريد أن تعضه، وكانت تعوي وهي ترسم شكل الكوكب المشع: (القمر! القمر!) يمكن أن نفقد عقلنا لحظة وميض نجم ما. كانت تطرح عدة أسئلة حول القمر مثل: (هنري، هل يمكنك أن تقول لي كيف يصير القمر خلال النهار) سؤال صعب أليس كذلك؟ كانت ترى بقرات زرقاء وخضراء، تناديها بأسمائها، تأتي بقربها وتلعب بذيولها. بعد ذلك أصبح الأمر أقل شعرية. أخذت تأكل القاذورات أو تجلس فوق المدفأة. كانت تملك قلباً ذهبياً وقد وصفتها هكذا (*هبطت ميلي إلى الأرض ملاكاً مجنوناً فكانت قديسة*) تعرف أن أختي أيضاً كانت مختلة بعض الشيء.. ماذا نقول عنها بالفرنسية.

ـ متخلّفة.

ـ نعم هكذا، كانت متخلّفة عقلياً، كانت مهووسة بالأشياء الصغيرة. كان يمكنها الحديث طوال النهار عن بقعة على فستانها أو عن قطرة مطر على زجاج النافذة. بهذا الإرث كنت في حالة تقودني إلى الخبل ـ يختم ميلر كلامه ضاحكاً وبدون سبب.

ـ هل صدقت يوماً أنك وحش ؟

ـ أنا لا، لكن الآخرين نعم، وأنت: هل تحب الأشخاص المبلبلي العقل ؟

ـ أحب قولهم الحقيقة، ثم إن حمقهم يردني إلى التفكير بحمقي.

ـ كيف حال فليمون ؟ يسأل ميلر ببهجة.

ـ فليمون! كنت قد حدثتك عنه في رسائلي.

Twitter: @ketab_n

ذلك الأحمق الصاحي! إنه أغرب شخصية عرفتها. طاغية وساذج، أناني يعتقد نفسه إلهاً، رجل أعمال، سديمي ومتناقض باستمرار... إلتقيته منذ ثلاثة عشر عاماً في صالون أدبي، كان يقرأ قصائد حب بحذلقة كلاسيكية تجعلنا ننفجر من شدة الضحك.

- ينبغي أن تكتب عنه كتاباً. ليس مسرحية بل رواية... شطارية. يهتف ميلر. وأنت تتحدث عنه كأنك تكشف أعماقك. عشت معه دون شك بعض المغامرات المثيرة.

- أجل، إنه من النوع الذي يقدم لك آخرين أكثر منه هلوسة.

- عرفت مثله. مع برلس في باريس وجان في نيويورك. لكن من هي الشخصية غير المتوقعة والأكثر هستيرية ورومنسية التي قدمها لك صديقك؟

- روث، صحفية يهودية، بمجرد مصافحتي إياها أجهشت بالبكاء. دموعها غمرت عنقها وقميصها. أخذتها بين يدي لأهدئها، فتضاعف بكاؤها. أما فليمون ففر يبتسم بغرابة. لم أكن أعرف من قبل تلك المرأة المتشحة بالسواد: ماذا أفعل؟ وضعت أسطوانة ملقاة فوق أريكة: السمفونية الخامسة للمهر.

- المسكين - يعقب ميلر - سيعاني كثيراً. يمكنه أن يجيبني: أعرف معاناة الكهول المحبين.

- مثل غوته أيضاً.

- نعم لكني أفضل هوغو. تعرف أن الأشخاص الممسوسين يفتنون الكتاب. أولئك المجانين يتلاعبون بالخيال حين يحبطون في الواقع. أظن أننا كلنا أو بعضنا سيعرف مثل هذه النوبات المفزعة وهذه النهاية المرعبة. أنا مثلاً أعيش نوباتي في الأحلام، دائماً أحلم أني أنظر إليّ في

Twitter: @ketab_n

المرآة وفي لحظة لا أعود أنا، أرى شخصاً آخر ينظر إليّ، فأفقد صورتي وهويتي ثم أصبح مجنوناً. هذا مقلق أليس كذلك ؟

ـ في الأدب الألماني الرومانسي نجد موضوعة المرآة المكسرة تعني غالباً الموت.

ـ نجده بنفس المعنى في خرافات (هوفمان). إذن ينبغي أن أكون قد مت منذ زمن بعيد.

ـ حلمك بالمرآة سيكون موضوعاً جيداً للتحليل النفسي عند جاك لاكان.

ـ هل تهتم بهذه النظريات المتطرفة في المغالطات والتصنع.

ـ أنا أجدها مثيرة، خاصة على مستوى ألعاب اللغة واللاوعي.

ـ هذا غريب. بدوت لي حدسياً وغريزياً وحساساً لكثافة الحياة، لا محاصراً داخل نظريات مثقفين يدّعون العلم بكل شيء.

ـ النظرية هي شكل من أشكال الحلم أيضاً، إنها معرض هندسي.

ـ بالتأكيد حلم مضجر. باستثناء نظريات المجانين. في باريس أنت تعرف أنه بمجرد ظهور مصاب بذهن هذياني في الشارع إلا تجده يقصدني، هو أو هي تهرول في اتجاهي وتصب عليّ سيلاً وسيلاً من الكلام، كنت أصغي لساعات وساعات. كان كلامهم غنياً وكنت أحدثهم أيضاً سالكاً نفس الأودية المتشعبة، وكنت أحياناً أضحكهم وأتجاوزهم في جنونهم، وعندما أحس بالجوع أتركهم وهم يشكرونني أو أحياناً يعطونني بعض النقود. حينها أعد غذاء جيداً.

على فكرة هل تريد أن تتناول شيئاً ؟

نينو تشكره: لا أحس بالجوع.

ـ وأنا أيضاً لا أستطيع بلع فولة سودانية.

Twitter: @ketab_n

يواصل ميلر حكايته معلقاً على قصة روث :

ـ تعرف، كان مساري أكثر صعوبة بالتأكيد. أبي وأمي . . كانا شديدي التزمت والحشمة، عشت في وضع متدن من اليأس والفقر الشديد. كان قاسياً لحسن الحظ، فالفقر يساعد ويثري الحياة بينما الغنى يدمر ويقتل. هذه الفكرة قد تبدو صادمة لعلماء الاجتماع والشيوعيين، ومع ذلك فهذه فكرتي وتجربتي.

ـ تظن أن الكائن الإنساني يستطيع دائماً أن يتغلب على المحبطات ؟

ـ نعم أعتقد ذلك. إنه يستطيع. نيتشه (مجنون آخر كان على فكرة يحدّث حصانه) قال على ما أعتقد : (*الكائن هو ذلك الشيء الذي ينبغي إخضاعه*).

ـ لكنك كنت دائماً تنجذب إلى الشخصيات الفاشلة في حياتها.

ـ ودائماً لدي إحساس أني من الفاشلين : كنت دائماً منجذباً إلى الذين يشبهونني، الفاشلون لديهم ثراء تخييلياً، برمّمون بالأحلام خواءهم الوجودي مختلقين باستمرار حيوات أخرى.

ـ في العمق أنت تستغل مخيلتهم.

ـ هو كذلك، يعترف ميلر، يمتصون حيويتي وحماسي وبدوري أمتص عوالمهم وأختلق لهم حيوات أخرى. أتماثل مع خساراتهم وأقاومهم بالكلام وأرسم لهم كذلك مخططات لتشجيعهم على النجاح. نعم بالتأكيد هؤلاء الأشخاص كانوا مطيّتي في الكتابة.

ـ الحوار مع الآخر نوع من الابتزاز وهو ما نقوم به الآن؟

ـ بالتأكيد ! همم ، أعتقد أن صاندي تخاف على صحتي. قد تكون ميتة هزلية أن أسقط الآن على الأرض نازفاً بينما ستظهر على الجسد تفزرات كثيرة. من حسن الحظ، فهي لا تفهم اللغة الفرنسية.

Twitter: @ketab_n

ـ لا تتحركا، أنا لا أجيب على المكالمات، أكره ذلك.

ـ أعتقد أن فكرتك حول الفشل ليست لعبة بل حقيقة. لي صديق يعمل مهندساً يدعى سيمون يعيش إحساساً دائماً بالفشل لكنه لا يتحدث عنه أبداً. بمجرد أن يبدأ عملاً يعرف سلفاً أنه سيفشل ويهان، حينئذ يشرب ويدخن ويتفلسف محاطاً بالكتب التي لا يقرؤها. صحيح هناك أشخاص لا نستطيع أن نفعل لهم شيئاً! وهذا فظيع، لكن الأمر هكذا.

ـ لكن هناك مثل فليمون من يحول الفشل إلى نجاح، متسكع يعيش مثل ملك.

ـ هكذا كنت في باريس ملك حريتي. الفاشل ليس له ما يفقده، إنه بشكل ما مطلق الحرية.

ـ يرمز إلى الكائن الذي يتخبط داخل وضعه البشري

ـ بل قل اللاإنساني! الكائن محكوم عليه أن يعيش حراً. هذا غريب. هناك دائماً فترة نسقط فيها في الميتافيزيقا. السؤال الذي بدون جواب. السر الخفي أنه ليس هناك يقيناً، فقط اللايقين! هذا ما هو لا إنساني ولا مطاق بالنسبة للإنسان! اليوم كل شيء يدعو إلى التعصب. طرق التحريض سائدة بكثافة والناس للأسف تفضل الأسود أو الأبيض ولا تحب خلط الأضداد. وهذا شديد الواقعية والتعقيد. الإنسان نادراً ما يقبل الحقيقة المتحركة، لهذا يحاول الإفلات منها. أنا بدوري حاولت النظر إلى الحقيقة وجهاً لوجه، وقد عانيت أيضاً.

ـ هل أتعبت الآخرين؟

ـ أوه نعم، همم. أنا أعتبر نفسي كارثة، أناني، غضوب، مخادع، وكذاب. أنا تقريباً كل هذا لكن ليس قاتلاً، ربما لدي الوقت لأصبحه.

ـ تتحدث هنا مثل أبطالك.

Twitter: @ketab_n

ـ الحدود بيني وبينهم، بين شكلي وشكلهم، بين الكذب والخيال، حدود شديدة الضبابية. هذا مختلف في المسرح، أليس كذلك ؟

ـ يتطلب المسرح زيادة في التغييرات والتضخيمات والتكثيفات. لا أعبّر إلا من خلال شخوص وسيطة من لحم ودم.

ـ لكن في مسرحياتك حول نهاية العالم، هناك ذلك اللامسمى الذي هو أنت ؟

ـ هذا يعطي انطباعاً أنه ليس هناك سوى متكلم واحد، إنه مونولوغ. الشخصيات تشارك دائماً بحوارات داخلية ولا توجد حقيقة إلا من خلال بعض هذه الحوارات: شذرات من الحياة، هشيم من القدر. الزمن يضغطها ويحاصرها، يسجنهم في دوائرهم، لديهم ساعتان لفك فخاخي.

ـ أحب فكرة الزمن الذي يعلق بجلد الإنسان... وأيضاً بجلد الكاتب الذي ينبغي أن يرتمي بعيداً باندفاع أقصى. لم أكتب سوى مسرحية واحدة. كان هذا في ألمانيا : وجدت نفسي وحدي وبدون طعام، فكتبتها في ثلاثة أيام دفعة واحدة وأنا أنصت إلى ضجيج آلة الكتابة وعويل معدتي الجائعة.

ـ أكيد أن المسرحية كانت ترقد بداخلك ومنذ مدة طويلة.

ـ نعم كان ينبغي أن أكتبها بهذه الطريقة. وأنت، هل تكتب بسرعة ؟

ـ ليس بمثل سرعتك! أحلم بمسرحية سنة أو سنتين، وإذا سجلت ملاحظات فسأكتبها في مدة شهر.

ـ يبدو لي أن التفكير والكتابة للمسرح محفوف بالمخاطر. إن الأثر الكوميدي يسقط غالباً جانباً، وماذا بعد، حتى التراجيديا فهي رديئة. تعرف عندما كنت شاباً أحببت الذهاب إلى مقهى كولومبيا عند هايد في

Twitter: @ketab_n

بيمان. كنت شغوفاً بالمجلات الساخرة المليئة بالمقالب الفظة لمسرحيات هزلية وساذجة. كانت تمس في النهاية شيئاً شديد العمق وشديد الأصالة.

توقف ميلر عن الكلام، فعم المكان صمت ونحن معلقين إلى صور مشحونة بالانفعالات.

الشمس انحجبت وراء الزجاج، الساعة ستكون السابعة مساء. فناجين الشاي مملوءة وباردة. دون شك، مرت خمس ساعات دون أن نشرب قطرة. نبهت ميلر إلى هذا فصاح:

ـ آه، فهمت الآن لم أنا ظمآن!

أحدثت صاندي ضجة مقصودة داخل المطبخ وأخذت تذهب وتجيء. رفعت الفناجين. تريدنا أن ننصرف لأننا أتعبنا ميلر(ها) بما فيه الكفاية.

ـ أنا جد سعيد بهذه الجلسة.

قلت له وأنا أنهض. أخذ كفي ووجه الكلام لنينو مازحاً:

ـ الرجال ثرثارون، أليس كذلك؟

ـ أكثر بكثير من النساء.

ـ كنت أقول هذا دائماً، إلى الغد.

أمام عتبة الباب أضاف بصوت خافت:

ـ هل أنتم في حاجة إلى دولارات لأجل تكاليف الفندق؟

طمأنته وانصرفنا.

عندما حاذينا أوكامبو درايف أحسست التعب يجتاحني ورأسي أخذ يثاقل بحيوات شتى.

نظرة من أعلى على المحيط الهادي. طلّ فبراير جعلنا نرتجف، زيده البارد يلسع جسدينا.

Twitter: @ketab_n

في الفندق مساء هاتفت المخرج الهوليودي لألغي فكرته عن ميلر : (ميلر ليس كما تدعي. ليس مدللاً ولا موضوعاً تحت الحراسة، ليس هناك طابوات، فقط ذئبة واحدة تقف بالمرصاد. ميلر بصحة جيدة، شاب حقيقي في الرابعة والثمانين من العمر. .)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

كيمياء سرية

انفتح الباب، يكاد وجه صاندي المتعب أن يبصق على وجهينا:

ـ أنتم مرة أخرى!

وجدنا ميلر يجلس على كرسي مريح بجانب النافذة يقرأ كتاباً عن التصوف للسيدة بلوفتسكي.

ـ نينو لم ترافقك اليوم! قال بخيبة.

ـ ستلاقي ممثلين في هوليود، غداً ستأتي.

ـ همم، قل لي هل تألمت من أجل امرأة، أقصد هل حطمت امرأة ما قلبك وكليتيك.

ـ آه!

ـ إحك عن ذلك. قال ميلر وقد فتحت شهيته للحكايات، ثم أضاف:

ـ أحب حكايات العشاق المهجورين، لقد عشت ذلك أيضاً.

لم أتوقع استدعاء رومنسيّتي أمام ميلر. عندما كنت في الثامنة عشرة من العمر أحببت سيسيل. لقد سبق ونثرت قصتها داخل مسرحيتين. إنها ذكريات حارقة عن سنوات الصواعق والخرافات.

Twitter: @ketab_n

ـ إنها حكاية شائعة وعادية : ما أن رأيت سيسيل لأول مرة حتى أخذت أهذي في مكاني . زلزال من الشغف . . . كما لو أني عشقتها قبل رؤيتها ! هذه من انتظرت منذ قرون نصفي الآخر المهيب الجسد الرائع هي ملكي منذ الأزل . حدث هذا في باريس وفي ذروة الخريف كانت باريس مبثوثة بالأوراق الذهبية وبالأشعة الزرقاء التي تنساب بشغفي الباريسي .

تعجب ميلر قائلاً :

ـ أرى هذا كما لو كنت هناك ! الحب الصاعق ينبجس منه عالم رائع . الحقيقة من خلال الحب المشوه ، إنه الوهم بعينه أما القبلة الأولى فإنها هذيان لا يمّحي ، أليس كذلك ؟

ـ منذ كلمة (أحبك) إلى القبلة ذات الرائحة الحيوانية وكأني أقبل شيئها داخل فمها : ساعات وساعات من السعادة القصوى ثم بعد ذلك تنهض قائلة بجفاء : (إلى الغد ، ربما . .) وتختفي بعد ذلك مع شخص آخر .

ـ بغي جميلة ، اعترف ميلر ، نسخة طبق الأصل من جان : كانت تهرب أيضاً مع أشخاص معينين وفي نفس الوقت تصرخ في وجهي أنها لم تحب أحداً مثلي . أجزم أن سيسيل(ك) هذه استمرت في طوافها القاسي . أليس كذلك ؟

ـ طوال الوقت ، رشفة حب ورشقة سكين . أستجدي الفتات لكن بروق السعادة تجرجرني إلى حد العظم . وذات يوم لم نعد نلتقي هكذا بدون مقدمات ، بدون أي شيء ، وبقيت تلك القسوة إلى الآن لا أستطيع فهمها . أرأيت ، إنّها مجرد حكاية تافهة ؟

ـ تافهة ؟ لا ليست كذلك ، قل خالدة ونموذج أصيل ، حقيقي كالحياة . كل الرجال يعيشون هذه التجربة وفي مختلف الأعمار . المرأة أيضاً ، لكن الرجال أكثر ضعفاً وأشد هشاشة .

Twitter: @ketab_n

يبتسم ميلر:

ـ هل رأيتها مرة أخرى ؟

كل هذا الدفق المتحرك ويريد ميلر المزيد. يريد أن يعرف كل شيء!

لا مناص إذن من مواصلة القصة؟

ـ رأيتها مؤخراً فأصبت بصدمة: أين اختفت الغانية التي أسطرت؟ كانت امرأة أخرى، أشفقت عليها كثيراً، كانت أمها تعاني من عصاب اكتئابي، وخالتها تحتضر أيضاً متخثرة بداء السرطان. ماض بأكمله انمحى في أمسية واحدة. كنت بالكاد أجرؤ على النظر إلى عينيها: كان وجهها معجناً وعيناها مكدرتين وأعتقد أني لمحت بقعاً بنية في فخذيها، غير أني ربما أبالغ.

ـ لا أظن ذلك، تدخل ميلر، أنا أيضاً عندما صادفت جان كانت كفزاعة، كان وجهها نحيلاً وظهرها محدوداً. فقدت كل شعرها. كانت خرفة تماماً. تجلس أمام التلفزيون خلال الليل والنهار وأحياناً كانت تهاتفني لتقول: (رأيت بالأمس على التلفزيون أحد أفلامك) تعتقد أن كل الأفلام التي تشاهدها هي مأخوذة من رواياتي. ذات يوم كانت في حالة سيئة فأخذت الجهاز وألقته من النافذة، ويعتبر هذا جريمة في أمريكا يعاقب عليها القانون مما دفعهم إلى احتجازها في مصحة، لكن بعد ذلك أطلقوا سراحها. فظيع أن ترى من أحببت بعد سنين طويلة من البعاد.

ـ عندما تحدثت لسيسيل عن الماضي، (أتم ميلر كلامي: كان ذلك هزلياً أليس كذلك؟) ذكرياتي لم تكن تتوافق مع ذكرياتها، بل إنها نسيت العصرية التي قضيناها معاً في باريس. هي نفسها لم يكن للقائنا معنى بالنسبة لها. كان حدثاً عابراً في الحياة.

يستدرك ميلر:

Twitter: @ketab_n

ـ هل تعرف أن آخر صورة ستصاحبني في مماتي ستكون بالتأكيد لحبي الأول، الحب بالمعنى المطلق، القوي في حياتي.

ـ كورا ستيوارد ؟

ـ هذه ؟ كانت فشلاً مطلقاً، كنت صغير السن، في السادسة عشرة، ربما، لمحتها في رواق الأبسترن ديستريكت هايف سكول.

ـ لقد وصفت هذا اللقاء بطريقة رائعة، معي النص، سأقرأ عليك مقتطفاً، أتساءل إن كان يتوافق مع ذكرياتك الآن.

ـ تعجبني الفكرة.

(كانت تكبرني قليلاً، جسدها مكتمل، وأقصد ممتلئ بالقدر الكافي، مشعة ومتوهجة بالعافية، رأسها شامخ، ونظراتها حاسمة ووقحة تخفيان خجلاً محيراً، شفتاها سخيتان، وممتلئتان بالنسغ الساخن، تكشفان عن أسنان قوية، ناصعة وفاتنة. بيد أن الأشد إثارة فيها هما شعرها وعينيها. شعر ذهبي، ترفعه إلى الأعلى في شكل صدفة ملساء، في لون أصهب أوبرالي نادراً ما نراه. أما العينان فجد واسعتين ودائريتين بالصفاء زرقتهما الصينية تنسجم تماماً مع ذهب الشعر ورشاقة السحنة الملونة بلون ورد شجر التفاح.

كان عمرها ستة عشرة عاماً وطبعاً لم تكن واثقة تماماً من نفسها رغم أنها كانت توحي بعكس ذلك. وهذا يظهر في انفصالها عن الفتيات الأخريات الملتزمات بالدراسة. كانت كأن الدم الأزرق يجري في عروقها،

Twitter: @ketab_n

ذلك الدم الأزرق البارد للتمرد المطلق. هل بمقدوري أن أضيف أن نظرة واحدة منها كانت كافية لتجرفني كموج عال ومفاجئ. ليس جمالها وحده بل نظرتها المرهبة التي جعلتني أثغثغ ببضع كلمات فارغة بلا معنى ـ من المستحيل أن أتذكرها. أعرف فقط أن الأمر قد احتاج مني لعدة أسابيع للقاء الأول ولكي أغامر بهذا الفعل البطولي. أتذكر ذلك وكأن ما حدث قد حدث بالأمس فقط. كانت تتورّد كلما اقتربنا من بعضنا البعض، مما لا شك فيه أن علاقتنا كانت من النوع التلغرافي. لم تتفوه أبداً بأي كلمة أو عبارة يمكن أن تترسخ في ذاكرتي(. . .) كنت بين الفينة والأخرى ـ نادراً ما يحدث ـ أصادفها في حفل راقص، أظن مرتين فقط، رافقتها إلى المسرح. لا أملك رغم ذلك ولو صورة لها أستطيع وضعها في محفظتي لأتملاها بسرية تامة. في الواقع لم أكن في حاجة لصورتها لأن وجهها كان حاضراً باستمرار في ذهني. وكان غيابها أيضاً عذاباً أبدياً ساعد على نقش صورتها في أعماقي.

عندما أخلو لنفسي أحدثها بشكل متواصل، بصمت أو بصوت عال. أكثر من مرة وقبل أن أعود إلى بيتي أكون قد ذهبت إلى بيت أسرتها، أناديها من الأسفل، أصرخ اسمها أتوسل إليها أن تمنحني لقاء من القمم التي تتسيّد عليها.)

ـ لم يتغير أي شيء. يعلّق ميلر مبتسماً. إلى يومنا هذا ما يزال عندي نفس

Twitter: @ketab_n

الإحساس وكأن كورا من الأمس القريب. الذاكرة تلعب بالمسنين ألعاباً ماكرة ! كورا : إنها الفشل الذريع، في أحد الأيام أهديتها باقة من ورد البنفسج وسهواً منها سحقتها أمامي.

ـ تمثل كورا صورة عن الحب المطلق.

ـ والمستحيل! العزيز المنال! فشل ينغلق على الفراغ ـ فراغ خالد ! في الحقيقة هذا رهيب. عندما قرأت : (الملاك) لبلزاك لمحت طيف كورا يحوم حول الصفحات: حب ملائكي، حب مطلق، كالعثور على نصفنا الثاني. كان أفلاطون يقول، نحتاج دون شك إلى آلاف السنين ليحدث ذلك.

ـ هل رأيت كورا مرة أخرى ؟

ـ أنت أيضاً فضولي، لا لم ألاقها أبداً، ولأني مشهور في كل مكان كنت أنتظر رسالة تقول: (أنا كورا سيوران . . .) انتظرت طويلاً لكن لا شيء ولا إشارة.

ـ ربما كان هذا أفضل، كورا ستبقى ذلك الملاك المتمنّع.

ـ لو كنتَ رأيتها مرة أخرى، لاكتشفتَ دون شك على فخذيها تلك البقع الزرقاء الصدئة.

ـ كورا كانت حبي المستحيل في سن السادسة عشرة . . . أما هيروكو طوكودا فقد أرتني في سن السبعين كل صنوف العذاب .

ـ آه نعم، وقد صغت من هذه الآلام كتاب (أرق).

ـ أنا أيضاً أحبه. إنه أحد كتبي المفضلة، كتبته بعبرات جسدي، كنت أستيقظ في ذروة الليل، مهووساً بالعشق والغيظ والغيرة ـ وقتها تكون هي تلهو في حضن رجل آخر ـ أنشب مخالبي في رسائل لن أرسلها إليها أبداً، أرسم مائيات مخبولة، أخربش فوق الحيطان، أشوه وجهي أمام

Twitter: @ketab_n

المرآة، كل هذا يحدث ليلاً، كنت مجنوناً . . . بالحب.

ـ في النهاية أصبحت هيروكو زوجتك الخامسة ـ أضفتُ بعد صمت قصير.

ـ تزوجتها لأن تأشيرتها كانت ستنتهي. بواسطة هذا الزواج استطاعت البقاء في الولايات المتحدة. كانت يوم الزفاف ترتدي فستاناً أبيض جد مكشوف، أهديتها خاتم زواج مرصع بالزمرد. لكن حبنا تدهور بسرعة.

ـ هذا غريب وغير متوقع، قلت له، نتحدث عن جراح الحب كمراهقين.

ـ أحب هذه الأزمات الحميمية، لأن البشر يفقدون داخل تجارب الحب المؤلم أقنعتهم. نكتشفهم ضعفاء وحقيقيين. من جهة أخرى فالرجل والمرأة يحتاجان دائماً إلى الحب. العيش بالحب ومن أجل الحب هذا هو واجب الإنسان. أما أنا فلا أنفع لأي شيء ولا أقدر على الكتابة. أنظر يا بسكال إلى العبارة المعلقة على الحائط؛ إنها لهرمان هسه يقول فيها: (*لا ينبغي للحب أن يُستجدى بل أن يُنتزع.*) رائع، أليس كذلك؟ لن يصعب تطبيقه!

ـ صديقي بيل ـ الذي جاب الكرة الأرضية ـ يدّعي أن الحب لعبة.

ـ لأنه ما زال شاباً!

ـ شاب بقلبه فقط أما سنه فستون سنة.

ـ ستون سنة، إذن فهو يخشاه.

ـ لا أظن ذلك، يبدو لي أنه لاعب وملعوب به. في العمق إنه تشاؤم عفن عندما يصبح العالم بالنسبة له لعبة شطرنج بدون حكم. في كل بلد يزوره يتعرف على امرأة، يحبها يوماً أو يومين، مكرراً عبارة كوكتو: (*أنا الكذب الذي يقول الحقيقة*) وإذا ظهر زوجها أو عشيقها فر بلا رجعة أو مواجهة. الموقف بالنسبة إليه لا يحتاج تضحية، لا يتملك ولا يمتلك.

Twitter: @ketab_n

ـ أنا أحب أن أكون ممتلكاً لامرأة ومتملكاً منها، وإلى اليوم ما زلت ضحية سهلة للغيرة.

ـ من هي المرأة التي تحب في العالم ؟

ـ بالنسبة لي المرأة الأروع هي (هلويس). في نهاية حياتها كتبت لـ (أبلار): (*أريد أن أحب الله كما أحبك*). كانت راهبة، أليس رائعاً هذا ؟

ـ تميلون إلى الحب المطلق، هل اعترفت يوماً ما بهذا لامرأة ؟

ـ كان بمقدوري ذلك، خلال يوم أو يومين، لكن كما تعرف فأنا صعب المعشر. أظن أني أستنزف النساء والرجال أيضاً، أحياناً أطلب كل شيء لكني مع ذلك أعطي كل شيء.

ـ تعريف جميل لمفهوم الحب.

ـ في العمق أظن أني أحب الحب نفسه، وعليه سأكون دائماً مستعد للهيام بكفين مضمومتين في حالة قدسية. قمة الشفقة، هل سبق لك وأحببت امرأة شفقة بها ؟

ـ مرة واحدة.

ـ مريع أليس كذلك ؟ لم تضحك ؟

ـ أضحك لأنها كانت تدعى (ميلر) مثلكم !

ـ أوه، ألمانية إذن !

ـ لا أظنها ذات أصول ألمانية.

ـ كيف نشأ هذا الشعور بالشفقة ؟

ـ في الحقيقة لم أكن أحبها، لكني لم أجرؤ عن الامتناع عن رؤيتها. كنت أحس بؤسها الشديد، مخلوقة سيئة الحظ. كانت تخفق في كل شيء، حتى في إعداد المايونيز، آه! أما عشاءاتها فتستغرق ساعات لإعدادها،

Twitter: @ketab_n

تفعل ذلك لترضيني بينما كنت قادراً على الطبخ لوحدي. ترهق نفسها حد الجنون. كانت ذروة الخيبة: في النهاية تتساقط الشموع من الشمعدان، والسَّلطة تتقلص، والصلصات تتعلّك، والحوار يتزنجر، أعلن التدهور، ثم الدموع في العينين.

يلّفنا صمت، نطفو داخل الذكريات، نرشف الشاي رشفات صغيرة. ألا أكون في حلم؟ أجلس أمام ميلر، وأنا، تحت طلبه، أكشف له حياتي العاطفية. إنه الربيع في ذروة الشتاء. يحدثني عن الحب مثل مراهق، وهو الفضائحي المطارد، العضو الجنسي الذي تحول إلى رجل حسب الأسطورة.

ـ هذا غريب، قلت بطريقة مستفزة، أنتم سيد الجنس وتحدثني عن الحب!

ـ كتاب (Sexus) صدم العالم وكان ذلك مجرد رياء. لم يكن القراء متعودين على قراءة هذا. يقول هذا ويفعل هذا طوال الوقت! الآن أصبحت أكره كلمة (جنس).

ـ أنتم (بابا الجنس) كما قال أحدهم عنك، تُصْدَمون بكلمة (جنس)! هذا ترف وسبق صحفي!

ينفجر ميلر مقهقهاً، يشد ذراعي مغتبطاً بتأثيره عليّ، ثم يضيف مفسراً:

ـ أريد أن أقول أنه هنا في الولايات المتحدة نمارس الجنس دون حب. عندما يأتي لزيارتي أحد الشباب أسأله:

ـ هل تحب؟

ـ أوه، لا!

ـ هل تمارس الجنس؟

ـ آه طبعاً!

Twitter: @ketab_n

ـ ولا تحب، لماذا ؟

ـ أنا خائف !

الآن، الرجال يخافون النساء. الضعفاء مَن يدّعون الرجولة والذكورة !

ـ الجنس بدون روح. قلت.

ـ ينبغي أن يكون الجنس احتفالاً، جنوناً، وما ورائياً.

ـ مع ذلك فقد مارستم الجنس مع نساء لم تكونوا تحبونهن.

ـ طبعاً، سلسلة لا منتهية من الأرحام. كانت نوعاً من اليأس والحنين الموجع أيضاً.

ـ ميلر والجنس: صفة تلتصق بكم. هذا ما يحتفظ به القراء جميعهم.

ـ هم المهووسون ولست أنا !

ـ قطعاً وبدون شك، اسمعْ هذا: قبل أن أسافر للقائك طلبت مني صديقة بورجوازية: (هل تظن أن ميلر سيقبل أن تصور شيئه ؟) تريده تذكاراً لها. أرأيتم، حتى عضوك أصبح أسطورة !

كان قد جاء دوري لكي أفاجئه. حكاية القضيب المصور قطعت منه الأنفاس، فأطلق عدة همهمات عالية وهو يبتسم ثم أضاف:

ـ هذا غريب، الرجال على الخصوص هم الذين يتصورون أن أعضاءهم الجنسية هي مركز العالم بالنسبة للنساء.

ـ النسويات الأمريكيات عاملنك ك (قضيبي سافل).

سؤالي صدمه. لاحظت وجهه يتوتر فجأة. تدارك نفسه، ثم حاول التأكيد:

ـ لم أعد أفهم شيئاً مما يقلنه، حتى العاهرات يمارسن اليوم السياسة. لقد دافعت دوماً عن المرأة. لقد قلت دائماً أن الرجال هم المسؤولون عن

Twitter: @ketab_n

الخراب والكوارث في العالم، لم أعتبر أبداً المرأة شيئاً. حتى ولو كان في حوزتي عدة نساء. كن متساويات معي، كن موضوع رغبتي وكنت موضوع رغبتهن. لم أغتصب أي امرأة، طبعاً نتخاصم ونتصافع ونتلاكم لكن من الطرفين! على الرجل والمرأة أن يتحررا معاً وإلا سيبقيان عبدين لبعضهما البعض. في أعمالي لم أعزل الجنس أبداً لكي أعطيه خصوصية استثنائية. تحدثت عنه كجزء أساسي من الحياة. قل لي، أحس أني أطنب كثيراً.

ـ أظن أن هذا الموقف قد أثاره الجانب الكاريكاتوري والفضائحي في أعمالكم.

ـ فعلاً أصبت في قولك. إدّعت منجمة أن كواكبي الثلاثة في برج العقرب تدفعني نحو المبالغة والحدة. أبالغ في شخصياتي وأحاسيسي وأسوق كل شيء إلى أقصى مداه.

ـ المبالغة تمنح الكائنات والأشياء هيئة ساخرة.

ـ هذا يعود إلى تشاؤمنا الأنطولوجي!

ـ السخرية لا تقدم أبداً (خفة الروح) بل تزعج وتخنق الحنان وتعطب القلب، تكشف بأصابعها الهازئة كل النقائص.

ـ وتكشف الواقع الكائن أيضاً على حافة الحقيقة المرعبة. السخرية تكشف العالم والبشر في جراحهم المفتوحة على الدوام.

بالجراح، أغلقنا الدائرة. جراح الحب، جراح الكائن، جراح الحبر.

أحضرت صاندي أعجوبة الساعة السادسة. ميلر يأكل بصمت بينما أنا أشرب للمرة الألف فنجان الشاي. أحس أننا قريبان من بعضنا البعض انفعالاً بالحياة، في جزئياتها التي ترسم ألوان الوجود، في هذا الإنصات للآخر. قريبان أيضاً في الهزل مما نحبه، في هذه السخرية حيث الحشمة

Twitter: @ketab_n

التي تتطهر من طرقها المسدودة في الحياة.

كنت أود معرفته قبل أن يلوك أعجوبة السادسة، في تلك الباريس التي عَبَرها من النار إلى الروح، وفكره يغلي بالوحوش القادمة. أو في تلك اليونان التي كشفت له عالم الأنوار والآلهة. في وطنه أمريكا، هذا «الكابوس المكيّف الهواء» حيث شراسته ضد الحضارة تنفجر خربشات فاحشة.

تسللت تاركاً هنري ميلر، كما في حلم يقظة، حيث الحيطان والأرض تهتز لأقل عثرة. صور اللقاء تتداخل في نومي: الملاك أيقظ الشيطان. شظايا أحلام تتلاحم في ضباب كيمياء سرية.

Twitter: @ketab_n

كل شيء لغز وسر خفي

أوكامبو درايف.

لحقنا بساعي البريد لبضع خطوات. هذا الشخص المكور البطن يمشي متأرجحاً، يداه مملوءتان بالرسائل والطرود. توزيع البريد في جادة ميلر ليس هدية بالنسبة لمركز البريد. الرجل الضخم ينصرف من ٤٤٤ خفيفاً. يلتحق بنا ميلر في الصالون يدفع ما يتوكأ عليه. اليوم شَقَي عينيه الرقيقين منحاه وجهاً صينياً، وعندما يبتسم تنغلقان كما لو كان ينظر إلى الروح أو القلب من خلال هاتين العينين.

ـ بالأمس تحدثنا عن الحب، بدأت الحديث معه، والحال أن بعض كتبك قد حوكمت بدعوى أنها بورنوغرافية وفحشائية.

ـ كنت أتوقع هذا السؤال، أجابني ميلر بابتسامة ماكرة، سأجيبك لكن اعلمْ أني لست متخصصاً ولا منظراً للجنس! إنهم ببساطة يتهمونني لأني كتبت حياتي.

ـ إذا صح القول، فقد أصبحتم منظرين رغماً عنكم بسبب محاكماتكم.

ـ إذا أحببتم ذلك، فنعم. لقد كتبت أشياء فحشائية لكن ليست أبداً بورنو: البورنوغرافية لها هدف وهو دغدغة الأعصاب، أما الفحش فهو قريب

Twitter: @ketab_n

من طقوس الحياة لأنها تنبّه الكائن إلى حقيقة الشيء ، محوّلة الإحساس بالواقعي أكثر حدة .

ـ بهذا المعنى كتبتم : «التحدث عن الطبيعة ومعنى الفحش أكثر صعوبة تقريباً من الحديث عن الإله » .

ـ بالتأكيد ! ما معنى الإله ؟ ما معنى الفحش ؟ يبقى المعنى في القواميس غامضاً . لكن لائحة الكتّاب المتهمين بالفحش منذ بداية الزمن لائحة طويلة . الفحش الذي حاكموني من أجله ، يتهتك ، يشتم أيضاً ، ينتمي إلى تقاليد أدبية وجدت منذ ألف سنة ! غير أن الأدب الأنكلوسكسوني في القرون الثلاثة الخيرة قد تعرض للحذف مفتقداً بذلك خاصيته الشمولية . إلا أني لن أقدم لك درساً في الأدب .

ـ أليس مرد التخوف من الفحش إلى الكبت والإحساس بالذنب ؟

ـ أعتقد ذلك : لو أن الإنسان حقق كل رغباته فلن يعود هناك شيء يمكن نعته بالفحش . أنا بدوري تحررت بواسطة كتبي من تربيتي الطهرية .

ـ نتهم الآخر بفحشنا الشخصي ذلك الشيء الذي نرفضه برعب . ثم إن في الفحش توجد فكرة التطير مما له علاقة به ، و بالتالي فإذا كان يهددنا فلأنه يرفض قواعد اللعبة (لعبة المجتمع) .

ـ طبعاً ، دائماً هناك خوف ! ومطلقاً لا للنبع الصافي للرغبة . ودائماً نعم للنفاق الاجتماعي لدى هؤلاء الذين يقطبون وجوههم المفزوعة حينما أسألهم : (ماذا تقصدون بالسلوك الجنسي السوي ؟) يثغثغون بالكليشيات فأضيف : (لن نعرف أبداً ، وأنا أيضاً ، كيف نستعيد منذ بدء الخليقة سلوك الإنسان اتجاه الجنس . سنضيع داخل متاهة أضعنا مركزها خلال الطريق) ثم أتابع أمام هيأتهم المهزومة : (يجب على الفنان أن يضرب بقوة كي يوقظ رغبة التغيير ، ففي كل مرة تظهر الفحشاء نحس الموت الساحق

Twitter: @ketab_n

لشكل ما). شيء غريب وموح أن نجد الانتقادات والرقابة التي تتهم الفنانين المعاصرين بالفحش تتعامل بمزيد من الاحترام والتفهم فحش الشعوب البدائية أو الكتّاب القدماء. يبررون ذلك قائلين بالتحديد: (الحضارات الأخرى، عادات الشعوب الأخرى) لماذا ينبغي علي أنا بالذات أن أبقى كائناً ثابتاً، أو كما قال يونسكو تماماً كالرينوسيروس ؟ ثم يجيبون: (كن أصيلاً، كن، لكن ليس صادماً كثيراً وخصوصاً لا تكن فظاً).

ـ هنري، عندما نسمعكم تبدو لنا الفحشاء تقنية كتابة وصيرورة تطهير.

ـ بالضبط، إنها تقنية شبيهة بالمعجزات التي كان يصنعها المسيح.

ـ أظن أنكم تحبون التماثل مع شخصية المسيح، ولدتما في الخامس والعشرين من ديسمبر.. المسيح كان يوقظ الموتى وأنتم توقظون الأحياء.

ـ همم... همم.. نعم، كتبي أيضاً صنعت المعجزات. لقد أنقذت أشخاصاً ومنحت الشجاعة والرغبة في الحياة. (فحشي) لم يصب أحداً بالسرطان أو الفساد. لم أفسد الشباب، ولم أقتل الشيوخ بواسطة كتبي. على العكس. خذ مثالاً: في الأسبوع الماضي تلقيت رسالة من امرأة عجوز من فرنسا تقول فيها: (عندما قرأت مدار السرطان، جعلتني أكتشف الحب. شكراً، شكراً.) بل ما يظهر لي فحشياً هي هذه الحروب و هذه الحضارة الأفدح تقنية. غداً سيُكتب الشعر بالقنابل والصور النووية. خلال الحرب يصبح الإنسان لا مبالياً: عندما يغرق كوكب في الدماء تصبح الجريمة بلا معنى. كتبتم عن هذا الموضوع في مسرحيتكم (رأس الشيء). قرأتها في الشهر الماضي. بعد فحش التفجير النووي يندفع (رأس الشيء) إلى اللهو بفحش الكلمات والأفعال كأنه يلقي حجراً عكس الاتجاه، لكن إلى من ؟ لم يعد من أحد حوله ! هل يمكن أن

Twitter: @ketab_n

تقدم على المسرح ؟ أحببت هذه الشخصية : تشارك وحدها في صيرورة التطهير. هل واجهتك مشاكل بسببها في أوربا ؟

ـ لا أبداً.

ـ أ رأيت. بدأ الوضع يتطور. حسناً حسناً هذه علامة جيدة. أعتقد أني ساهمت في هذا التطور بإعطاء (الجنسانية) مكانها الصحيح.

ـ هنا تأخذ الأمور بجدية.

ـ ربما، هذا بعض من الغرور، لكن في الحقيقة، لا أستحق هذا، لأنني عندما كنت أكتب، كنت أبحث قبل كل شيء أن أكون نفسي.

ـ لكن أن تكون نفسك سبب لك ذلك الكثير من المكائد القانونية! هل عانيتم من أوامر الإحضار والمحاكمات؟

ـ لم أهتم بالمحاكمات، لكن كنت متخوفاً من مهاجمة المنددين. كنت أخشى اعتداءاتهم ونهاية طمأنينتي.

ـ لقد دافعتم بواسطة الكتابة في النهاية عن نفسكم.

ـ أجل، كتبت كتاباً أو اثنين بسبب القضاة والمحلفين. كتبت لأحدهم : (هذه المحاكمة التي هي محاكمة الحياة، تعود أصولها إلى برومثيوس) وهذه حقيقة. هل تعرف أنني حُبست تقريباً في فرنسا بسبب (سيكسوس)؟ هذا الكتاب صدم رجال السلطة.

ـ صديقتك داريل وجهت إليك كذلك مؤاخذات منها أن الكتاب : (انفجارات فحشية تافهة)

ـ رددت عليها أني منذ زمن طويل وأنا أخفي (سكسوس) وكتبته بأحاسيسي خصوصاً ما كنت أرغب في كتابته. هذه طريقة لرؤيتي كما أنا، كيف يمكن أن يلومني أحد على هذا؟

Twitter: @ketab_n

ـ ووجدتم نفسكم في السجن؟

ـ لا ليس تماماً، لقد استدعوونني إلى المحاكمة، كانت محكمة خاصة. لم تكن للمجرمين لحسن الحظ، بل كانت للمتهمين بالإساءة إلى الآخرين فقط. ها أنا أمام القاضي صحبة محاميّ: (ينبغي أن تجيبني بصراحة) يكرر القاضي. (بالتأكيد، سيدي القاضي) أجبته بأكثر التواضع الممكن. دام الأمر أكثر من نصف ساعة وكان ضرورياً ذهابي إلى المرحاض. سألت بصوت منخفض محاميّ أين توجد المراحيض. فأجابني: (هنا لا توجد مراحيض، افعلها في سروالك) وهذا ما فعلته، وكان هناك نهيّر يسيل إلى جهة القاضي. وهذا ليس جيداً للدفاع عن قضيتي. هل أنت قادر على مواصلة هذا النبع المخل بالحياء! غير أن القاضي لا يريد أن يرى هذا.

ـ كان على معرفة بلازمة مثانة المتهمين!

ـ ربما، ثم رفع القاضي صوته، اعتقدت أنه سيوبخني على عدم احترامي للمحكمة. (انتبه، يا سيد ميلر! إليك السؤال الأخير) اتخذ هيأة كئيبة، جد صادقة وأنا أيضاً (السيد ميلر، هل تعتقد أن الكاتب يملك حق قول كل شيء، ويكتب كل مايريده في كتاب؟) أعرف إجابتي بالطبع لكني تظاهرت بالتفكير العميق، هكذا الرأس بين يديّ... وبعد صمت طويل، رفعت رأسي: (سيدي القاضي، أعتقد أنه نعم)، مع جوابي ارتفعت تصفيقات كاتب المحكمة من على كرسيّه. بعد ذلك نزل القاضي عن منصته، مَلَكيٌّ في زيّه الأحمر، توجه نحوي وعانقني بذراعه: (سيدي ميلر، أنت منا، من أسرة الفيون والرابليون)

عرض مسرحي حقيقي، عندما يقدم ميلر مثل هذه الحكايات: يمسح الفضاء بيديه، يمد قبضته كي يهوّل الحدث، يغضن عينيه من أجل التشويق

Twitter: @ketab_n

ويبتدع تكشيرات لمحاكاة القاضي أو أسلوبه المتواطئ. هل هذه المغامرة حقيقية أم مزيفة؟ هل هي ذكرى مطمورة في مخيلته أم واقعة اخترعها للتو أو نسقها من أجل المتعة ؟ لا أحد يمكنه أن يحسم في الأمر دون ريب حتى ميلر نفسه لا يستطيع. يخيل إليّ أنه يكتب كما يتكلم ويلعب جميع الأدوار ويتماهى مع جميع الشخصيات كي يخضعها لإرادته.

ـ لدي رغبة أن أقول لك: (قصة أخرى سيدي ميلر).

ـ لكن ما أحكيه لك حقيقي، يصر ميلر ساخطاً بعض الشيء من ريبتي.

ـ أنا متأكد أنه كان بإمكانك أن تصبح ممثلاً عظيماً، تابعت كلامي.

ـ ممثل ،أوه لا ! بهلوان، ربما، بهلوان ملك أو إله!

ـ اليوم، تؤمن بالإله؟

ـ لا، في الواقع، لا أعرف. كل ما أعرفه و ما أحسه أني إنسان الإله وإنسان الشيطان، لا شيء أبدي. ما كان يصدمني دائماً: الإله مجبر على معرفة كل شيء لكنه لن يعرف أبداً ما هو الموت، في النهاية قرر أن يرسل ابنه كي يموت.

ـ ولكي يُبعَث من جديد، أنت أيضاً بإمكانك أن تُبعث. هل تؤمنون بالتناسخ ؟

ـ لدي حدس أني كنت من قبل مزيجاً من الهان واليهودية. أعتقد أني لم أعش أبداً حياة فردية بل حياة متعددة. حيواتي ذابت في حيوات الآخرين.

ـ وفي حياتك القادمة ماذا سكون اختيارك؟

ـ لا أريد العودة! هذه دورتي الأخيرة، هذا يكفي.

ـ مع ذلك فأنتم تحبون الحياة.

Twitter: @ketab_n

ـ نعم، غير أن الأرض بالنسبة لي جحيم، هناك ستكون أفضل.

ـ هناك، أين ؟

ـ أجهل أين، سأعرف عما قريب ـ أو لا أعرف أبداً.

ـ تقول أن هذه الأرض جحيم، لكنه جحيم حيث كنت محمياً!

ـ آه نعم، لقد أنقذت حياتي من الموت والفقر عدة مرات. في أحد الأيام أردت أن أنتهي من حياتي، فأعطاني أحد الأصدقاء قرصاً قائلاً: (الوداع يا هنري ! أتفهم معاناتك، من الأفضل أن تموت.) أخذت القرص وودعت الصديق والعالم، فتحت النافذة ـ كان الثلج يتساقط ويتصقع كأنه سيفلق الحجر، تجردت من ملابسي ونمت فوق السرير.

ـ بلا أسف ؟

ـ أوه ! كما تعرف، ففي ذلك الوقت كانت جان تفعل بي أشياء قاسية، وكذلك على المستوى الأدبي كان فشلي ذريعاً.

ـ والموت مر بجانبكم.

ـ في الصباح، استيقظت مكسواً بالثلج. لكني كنتُ مفعماً بالصحة ! لم أصب حتى بالزكام ! لقد أعطاني الصديق قرصاً منوماً.

ـ أعتقد أن أحد المنجمين اليونانيين قد زعم أنك ستعيش طويلاً ؟

ـ حياة أبدية ! قال أني لن أموت أبداً! وأني سأتبدد بين أشعة الضوء.

ـ هل كان جاداً ؟

ـ كان منذهلاً، وكأن جزءاً مني كان مؤلهاً. كان يقبل يديّ، وأضاف بصوت مبهم ومندهش: (أراك بدون مال) خالد لكن بدون فلس! لقد أصاب الهدف. عند هذا الحد انفجرت ضاحكاً.

ـ هل تؤمن بالتنجيم ؟

Twitter: @ketab_n

ـ نعم و لا . الموضوع جدي، ويمتد إلى أقدم العصور، بيد أنه لا ينبغي للإنسان أن يبقى أسير النجوم. ينبغي أن يحوّلها، ويرمي داخل الثقوب السوداء! لكن الأبراج اليومية تكشف عدم الفهم والاحتيال. يمكنني أن أكتبها بنفسي: (احترس، غداً قد تعترضك المصائب!) أو (غداً سيبتسم لك الحظ) لا، يعجبني بعض المنجمين مثل السيدة لانغمان التي كتبت كتاباً عني. كم هو مدهش هذا التطابق بين ألعاب الكواكب وحيواتنا. في الحقيقة أحس أني محمي، وأنتم، هل تعرفون بعض المنجمين؟ آه نعم، فيلمون!

ـ يعتقد فليمون أنه محمي أيضاً، و ما أن تسقط مصيبة فوق رأسه حتى يحولها إلى هدية كوكبية.

ـ أنا لا أعلل المصيبة بل المصيبة من يسقط فوق رأس الآخر!

ـ الأشخاص الذين يصنعون طابوراً عند فليمون خائفون ومتعطشون للطمأنينة. يجلسون بخضوع داخل غرفة انتظار الحقيقة ينتظرون انفتاح الباب... ومعها مصائرهم. ينبغي رؤية نظراتهم المولهة، وهي تستغيث.

ـ أوه! عرفت هذا! في نيويورك حللتُ محلل نفسي صديق بلا استعداد أو تكوين. كنت أضخّم بإحكام حالة المكتئبين. أقول لهم: (لكنكم تملكون صحة جيدة، اصرفوا أموالكم من أجل المتعة ولا تضيعوها على أشخاص مثلنا) وكانوا ينصرفون معافين تاركين لي بعض الدولارات. عندما عاد صديقي وجد زبائنه قل تناقصوا.

ـ معجزات أخرى.

ـ أوه! أسهل أن تصنع المعجزات مع البشر على أن تضاعف عدد الخبز أو جرة نبيذ. الكائن البشري متلهف للمعجزات. يبحث دائماً عن

Twitter: @ketab_n

ومضة إشراق، تلك الطقوس المبسطة التي يتحول فيها الرصاص إلى ذهب.

ـ هل حضرت حصصاً أرواحية ؟

ـ لا ، أنت أيضاً؟

ـ مرة واحدة أو مرتين، لكن الكاهنة كانت تحرك من مكانها مائدة صغيرة علوها حوالي عشر سنتمتر . إذا نفثت: طار الكرسي! ومع ذلك كان الحضور منبهراً حابساً تنفسه أمام هذه اللعبة السخيفة.

ـ بل هي مصدر إلهام للإنسان ـ وهي أيضاً مصدر طامة كبرى عليه! قال ميلر ضاحكاً: أعتقد أن الدجالين ينتهون بتصديق أنفسهم وأكاذيبهم.

ـ يفضل الناس أن يُخدعوا، البحث الحقيقي عن الهناك وما يتجاوز إدراكنا يكون غالباً مرفوضاً ومحرّفاً. لدي صديق يدعى جاك يعد باحثاً حقيقياً، جدياً ومنعزلاً. لقد أسس معهداً أنتروبوكوسمولوجياً.

ـ طائفة جديدة ؟ سأل ميلر بارتياب.

ـ لا مطلقاً، هي بحث فلسفي وإنساني يدرس مكانة الإنسان في الكون وعلاقاته بين (الداخل) و(الخارج).

ـ هل ندرس هذا في أوربا؟

ـ لا، إنه شخص عصامي. عندما سأعود سأطلب منه أن يرسم الخريطة الفلكية للقائنا: سيكون هذا مسلياً.

ـ آه، نعم ! أحب الأشخاص الذين يهذون حول شخصيتي مأولين صورتي الكونية. أحياناً يقولون الحقيقة.

ـ ينصت جاك لذبذبات الكائنات والنجوم، يمسح العلوم الإنسانية والتقليدية، لا يرفض أي شيء، يهضم، يرشح، يتأمل في ضيعته بعيداً

Twitter: @ketab_n

عن الأنساق الفكرية المعاصرة.

ـ أليست هذه علامة طيبة ؟ فيلسوف وفلاّح، توازن جيد، الأرض والسماء.

ـ في المساء، لكي يأكل، يقتل دجاجة ويقتلع خصّاً. لحسن الحظ، الميتافيزيقا لم تسد شهيته.

ـ أفهم ذلك. عندما كنت في باريس كنت أتحدث عدة ليال كاملة في الفلسفة، وكان ذلك يفرغني بشكل رهيب مما يدفعني إلى الأكل والشرب طوال الليل. تعيدنا الفلسفة إلى فراغاتنا وحقيقتنا المخرّمة، بطريقة أو أخرى ينبغي تعويضها.

ـ هل تحبون الحديث عن الفلسفة ؟

ـ أحب أن أتحدث عن أي شيء في الواقع. عندما نتحدث يذهب الكائن لاكتشاف واقعه وواقع الآخرين. الكلام عن الفلسفة أو الإله أو مقارنة المراحيض بحسب البلدان، الأديان، العصور، كل هذا يهيّج مخيلتي، ويمنحني أفكاراً جديدة ـ ثم إنه لاشيء يمكنه تعويض لذة الحديث والإنصات والعطاء والأخذ. لو أني كتبت كل ما قلته أو سمعته، سأكون الكاتب الأكثر خصوبة في كل العصور.

ـ كل هذا اللعاب.

ـ من أجل لاشيء! يتعجب ميلر. لأنني اليوم عرفت أني لا أعلم إلا قليلاً. الكون، الخلق، الموت، سؤال الخالق، كل هذه الأمور.. ليست لدي أية إجابة لأتركها للإنسانية. بالنسبة لي، كل شيء لغز وغرابة وسر خفي. ليس هناك أي شيء يمكنني أن أؤمن به أو أعلمه. ثمّة غموض! وأنا سعيد لأن كل هذه الأشياء غامضة. مجرد حياة للوصول إلى ما أنا عليه... ولكي نعود إلى البدايات، إلى الأصل. من أكون ؟ لقد كتبته،

Twitter: @ketab_n

لكن هل كان أنا وذلك الآخر الذي استأصلته من الجحيم؟ إلى أين المصير؟ من أين أتيت ؟ لغز.

صمت ميتافيزيقي. هواء المحيط الهادئ المتموج يرجّ أسئلة بدون إجابة.

اخترقت صاندي الغرفة معلنة نهاية المقابلة بنظرتها الشرسة. إنها تكهرني وهي لا تخفي ذلك. لاحظ ميلر ذلك وبدأ يتسلى به، ولكي يضايقها قال لها بالإنجليزية أننا ربما سنمدد إقامتنا. ثم رمقتني بنظرة وقال ميلر بالفرنسية: (فتاة غريبة لكنها تحتملني ولهذا أحتملها أيضاً) وفجأة، أضاءت أشعة الشمس الغرفة.

ـ ألا يغريكما المسبح ؟ قال ميلر قاطعاً بذلك حبل تأملنا.

مسبح دافئ في قعر خزفي أزرق. أنا ونينون نسبح مسافة قصيرة على البطن. بينما احتل ميلر مكاناً على حافة المسبح: مثبتاً عينيه على مرآة الماء.

ـ همم . . . همم . . . كم سبحت في هذا المسبح! الآن انتهى كل شيء: أنا في حالة سيئة. عندما أكون مكتئباً أو تراودني فكرة الانتحار، فإما أن أخلد للنوم إلى أن تنصرف الحالة أو أتخبط في المسبح. أسبح في العمق ثم أصعد ساخراً من فرويد.

ـ في الماء، أنت تكمن في صورة الأم، هذا الشعور يمنحك الطمأنينة.

ـ أسبح بإدراك أني أليّن مفاصلي. تعرف، أعتقد أن أمي لم تقبلني أبداً.

يتقدم شخص نحونا، جذع عار، يرتدي مايوه السباحة. إنه جو الجار الذي يأتي للسباحة كل يوم، صيفاً وشتاء. لمدة ساعة في اليوم.

ـ لا يصاب جو بالزكام أبداً والفضل يعود إلى مسبحي. يمزح ميلر. ثم إن جو متوازن جداً: هذه المياه الدافئة تغسل كل قلقه اليومي. يذوب الخوف أو اليأس.

Twitter: @ketab_n

بشكله الرياضي البرونزي وابتسامته العريضة، بالتأكيد لن يعاني جو من الرعب الميتافيزيقي.

ـ إنه جد حساس اتجاه جسده، يواصل ميلر، إنها موضة هنا في الولايات المتحدة الأمريكية: أكل طبيعي، شرب طبيعي، مشي طبيعي. إنها خديعة لكنها شكل من أشكال التمرد ضد الحضارة الكيميائية، والتقنية. طريقة للعثور على شعرية ضائعة. بمناسبة الشعر، هل تعرف أنني صُدمت في بلدكم عندما زرت كاند. اكتشفت في داخل الكنيسة الكبرى ثلاثية فان إيك. لست مسيحياً قيد أنملة، ومع ذلك فقد وقفت أمام هذا العمل، جد متأثر إلى درجة أن عينيّ اغرورقا بالعبرات. أما بروج! مدينتي أنا. مدينة الشعراء. لو أنني ولدت في بروج بدل بروكلين، ماذا كنت سأكتب يا ترى!

تتلألأ بروج في عينيّ ميلر وبروكلين في عينيّ. ألا نحب مدينة الآخرين لكي نحوّلها أو نشيدها بحسب تصورنا؟

ننشف من الماء ونحن نحتسي الشاي الساخن. أحضرت صاندي طبقاً زاخراً بقطع الحلوى معلنة لميلر: (لكم الاختيار بين بسكويت محشو أو الزبيب. البسكويت بعثته محامية سويدية، والزبيب بعثه مزارع من تكساس. هذا كل ما لديك في بريد الخامسة).

Twitter: @ketab_n

عصر القتلة

استيقظت على صياح ديك ـ (صورة مجردة من المعنى في هذه المدينة الماموثية التي قضيت فيها عشرة أيام لم أشاهد فيها أي حيوان) ـ كي أدوّن على الورق بعض اللحظات من الدردشة مع هنري ميلر. ثم بعد ذلك سأهاتف بيل في نيويورك لأقيس حرارة الاستعداد المسرحي لمسرحيتي : (منفصل الأخبية). طمأنني قائلاً : (الأمور جيدة، الممثل الرئيسي ملدوغ بنوبات عصبية، ويزور طبيبه النفسي كل مساء. بالنسبة له هذه أفضل طريقة للتطور في أداء دوره) وقبل أن أنهي مكالمتي أعلن بيل بسخرية : (ألم تتعب بعد من ميلر ؟) لا يحب بيل أعمال ميلر. يدّعي أن شهرته جاءت من حماسة الأوربيين ولولاها لكان مجهولاً في الولايات المتحدة.

أنا وبيل نتشاجر مرحلياً حول موضوع ميلر. ينتقد بيل أسلوبه السطحي (هل قرأه فعلاً ؟) ويعيب عليه عدم انسجامه، ويتهكم على صوفيته التي بلا قيمة. ويغضب من إيروتيكيته التي من الصنف الرديء. . . إلخ. يكره بيل ميلر ولا يفهم لماذا ؟ (أضعت أسبوعاً من حياتي صحبة كاتب جد قاصر!).

ـ تعرف، لقد فقد صفة الفضائحي في الولايات المتحدة. بهذا يختم بيل كي يقنعني.

Twitter: @ketab_n

ـ أنت تحسده، قلت كي أضايقه، لأنك فعلاً تشبهه في أمور عديدة.

ـ من المؤكد، لا، رد عليّ بسخرية، وإلا كانت كتبي تباع بشكل جيد.

في الظهيرة، ذهبت إلى أرشيف جامعة لوس أنجلس حيث عرض أمامي المحافظ أرشيف ميلر: حوالي ٥٠٠٠٠ صفحة مخطوطة! حياة كاملة! روايات، نصوص متناثرة، رسومات، مقالات، رسائل، مائيات. بالإضافة إلى ملاحظات حول مداخيله المالية. هذه الصفحات وتلك الصفحات تحتاج إلى كشف قد يبهج المتخصصين القادمين في أعمال ميلر...

وفي الثانية مثل باقي الأيام، كنا على موعد مع ميلر. وككل مرة أخشى أن توصد صاندي الباب في وجهنا معلنة بظفر: (السيد هنري ميلر مريض هذا اليوم وأنتم السبب. لقد أتعبتموه) تبددت مخاوفي حين لمحته هنا، يجلس بجانب النافذة وسط (مائياته المجنونة) يتصفح الجرائد بانشراح.

ـ من جديد عدتم إلى العالم؟ قلت له وأنا أصافحه.

ـ السياسة أقصد البراز، (عادت النبرة الغاضبة وأحسست أن ميلر سيبدأ في الهجوم مكشراً فمه ومحتقراً العالم.) لا أقرأ السياسة أبداً، يضيف ميلر، إنها عمل البلهاء والأوغاد. عندما أقرأ الجريدة لا أحتفظ إلا بالأشياء الصغيرة التي لا تثير اهتمام أحد. إنها فوضاي: الديمقراطيون، الجمهوريون، الفاشيون، الشيوعيون، كلهم في مزبلة واحدة! إذا حكمنا عليهمْ بأفعالهم فحتى الشيوعيين يعملون على عودة البربرية: التعذيب، المعتقلات، نزع الأظافر. أنظر إلى هذا، يواصل ميلر، مهدداً ومشيراً بإصبعه إلى صورة مناحيم بيغن. يشارك في جميع الحروب، وما زال متعطشاً للدم والانتصار. السادات أفضل منه لأنه قبل أن يقدم تنازلات بينما بيغن...

Twitter: @ketab_n

ـ أنتم أيضاً تتحدثون في السياسة.

ـ للحظة وجيزة، وإذن أنا أيضاً غبي كالآخرين. لا لست رجل سياسة. ذات مساء جاء حاكم كاليفورنيا براون ليصافحني. دخل من هذا الباب مبالغاً في ابتسامته كما في ملصقات الانتخابات. فقلت له: (سيدي الحاكم، قبل أن تعبر الباب يجب أن تعلم شيئاً: أنا أكره السياسة) فأجابني بالمثل: (أتفق معك، أنا كذلك). لكنه كان حاكماً ويحلم أن يصبح رئيساً للولايات المتحدة. إنه الشعب الذي يولي رئيساً على رأس الكارثة. لكن قبل ذلك ينبغي توفير ملايين الدولارات لتنصيب مجرم أو أبله، أو الاثنين معاً، داخل البيت الأبيض. ياله من سيرك! هل هو كذلك في بلجيكا؟

ـ سيرك بلغتين مع مضاعفة عدد البهلوانات. غير أن رجال السياسة عندنا يملكون مؤهلات كبيرة: لقد أصبحوا أساتذة في فن التراضي. لهذا لا شيء يتغير.

ـ والملك؟

ـ يضمن رمزية الاستمرار.

ـ تعرف أن في الولايات المتحدة الأمريكية، أغلب الناس تجهل أن لديكم ملك. هنا لدينا ملوك الأحذية وملوك الهبورغر لكن ليس ملكاً... هل يقدم ملككم أموالاً للكتاب؟

ـ للأسف! لا. في بلدي اختفت وزارة الثقافة. الكتاب يعملون طوال الأسبوع ويكتبون يوم الأحد.

ـ همم.. لو عشت في بلجيكا، لأرسلت كل يوم رسالة إلى الملك: (أيها الملك، أكون ممنوناً إذا بعثت لي قليلاً من المال أو أطلبْ مني قصيدة تحتفي بعرشكم، سأبعثها عبر البريد العائد) كما شارل دوأورليان أو موليير!

Twitter: @ketab_n

همم. تعرف لقد كتبت عدة رسائل إلى أصدقاء أو أغراب لأطلب منهم دولاراً أو دولارين.

ـ ومع ذلك لم تهتموا بالمال أبداً.

ـ نعم ! ولم أملكه أبداً. عندما حاولت مع جان تدبير بعض الأعمال، ينتظرنا الإفلاس في الغد. أتسول من أجل الاستمرار في العيش والأكل.

ـ لقد عانيتم، خصوصاً خوفاً من الموت جوعاً وليس من الجوع.

ـ كان جنوناً: فقد كنت أعد في باريس أو نيويورك خططاً ـ وخدعاً ـ لكي لا تبقى معدتي فارغة.

ـ كانت أناييس نين تعد لك سندوتشات جيدة .

ـ في لوفسيين، كانت تزقّني. كذلك صديقي برلس كان يحرص على ملء معدتي! كنت آكل أحياناً خمس وجبات في اليوم.

ـ وأيام المجاعة ؟

ـ سأبوح لك بسر مدهش. في البداية تضع لائحة بجميع أصدقائك. وهناك سبعة أيام في الأسبوع وهذا يعني أربعة عشر وجبة. ينبغي إذن العثور على أربعة عشر صديقاً. وهذا ما كنت أقوم به. فكانت لدي إذاً مائدتي مرة في الأسبوع عند هذا أو ذاك، في المقابل كنت أصبح بهلواناً، أنظف المائدة، أروي الحكايات، أقمّط طفلاً صغيراً. . . أو أتملق لسيدة البيت، حسب الحالات. نظام آخر طبقته عدما كنت في باريس أتسكع بلا هدف، مكتئب وجائع. ماذا أفعل؟ أجلس في رصيف مقهى وأطلب فطوراً كاملاً. المشكلة ؟ ليس لدي فرنك واحد! الوقت يمر. والنادل يختلس النظرات إليّ. ولكي أخدع شكوكه أطلب فطوراً ثانياً. حل منتصف النهار ومعه وقت الغداء. هيا بنا من أجل نقانق وشراب. وفي الوقت الذي أبتلع فيه النقانق النيئة يمر صديق فأناديه: (هل تشرب نخباً

Twitter: @ketab_n

من الشراب؟) فيجلس ونتحدث ثم أطلب جبن ـ لي وله ـ الكمبر يسيل بالدسم. ثم أقول للصديق: (عذراً، يا عزيزي، يجب أن أذهب إلى المرحاض) وعندئذ أهرب.

ـ هل يحنق عليك أصدقاؤك بهذه الخدع ؟

ـ لا، يقبلون بترحاب، لأنهم يعرفون أني لا أستطيع التصرف بطريقة مختلفة.

ـ لقد كنتم دائماً تهربون في الوقت المناسب في حياتكم: الذهاب من نيويورك للفرار من الفقر والذهاب من باريس للفرار من الحرب.

ـ إنه حدسي أو الحماية الكونية التي تحدثنا عنها بالأمس. تعد الحرب سمسرة قذرة للسياسيين. الحرب لا تعنيني: أنا جد مسالم رغم كل العنف الذي أحسه بداخلي، حتى في حياتي الخاصة أكره التقاتل.

ـ مع ذلك فقد قلتم لي أنكم بعدما قرأتم السيرة التي كتبها عنكم جاي مارتان كانت لديكم رغبة للكمه.

ـ بالكلام فقط ! مع أنه يستحق أن يُصْرَع. كتابه عني سطحي، وفظ، وبدون شعرية. هذا الغبي كان يعتقد أنه بإمكانه كتابة مراحل من حياتي أنا لم أكتبها أبداً !

ـ لنعد إلى سنة ١٩٤٠، كيف استشعرتم الحرب ؟

ـ كان أصدقائي يرحلون: برلس إلى إنجلترا، وداريل إلى اليونان، أصيب الناس بالهستيريا، رجال السياسة خاصة ! شعرت أن التقيح سينفجر. فذهبت إلى بوردو. كان من المفروض أن تندلع الحرب على الساعة الثانية بعد الظهر فجلست على رصيف المقهى لمشاهدة القصف. الثانية والنصف ولاشيء ! ليست هناك أية طائرة ! أجلت الحرب إذن لكن ليس لمدة طويلة. حينئذ دعاني داريل للذهاب إلى اليونان.

Twitter: @ketab_n

ـ واليوم، أنتم مسيّجون بجانب هذا المحيط الهادئ، هل هو مكان محميّ ؟

ـ الآن أنا عجوز وسأموت قريباً، اليوم أو غداً. أنتظر قيامتي الشخصية لكن من يدري ؟ قد أشاهد القيامة الكبرى التي ستأخذ معها كل شيء.

ـ هل لديكم حل لمنع هذه الكارثة النهائية ؟

ـ ما من حل ! لكنني أحب فكرة نيتشه : عندما تتواجد قوتان مثل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية فالأقوى بينهما من يضع السلاح ويستسلم. مفارقة رائعة، أليس كذلك ؟ لا حروب ! أنا الأقوى وأستسلم ! السلام، السلام.

ـ يمكننا أن نحلم. أتخيل أحياناً عشاء على مائدة من خشب الورد (كما عند القدماء) حيث يجلس عظماء العالم، متأثرين بالحكمة والصفاء، ومحكومين بنشر السلام العالمي على الكرة الأرضية.

ـ فات الأوان ! سينفجر العالم قريباً. يتنبأ ميلر بينما وجهه يغرق في قهقهة عالية.

ـ مع ذلك تضحكون ؟

ـ أضحك لأني أود الانفجار معه !

ـ هذا الشعور السبقي يهيمن عليك منذ زمن بعيد. في المدارات، كتبتم سلفاً: (غداً، ستنهار كل مدن العالم إلى حطام، ورماد. غداً، كل كائنات العالم المتحضر ستموت بالحديد والسم.)

ـ عندما كنت في الخامسة والعشرين، قرأت كتاباً أثر فيّ طوال حياتي : (انحطاط الغرب) لسبنجلر. حضارتنا أصيبت بتصلب الشرايين : نحن اليوم نعيش موت الثقافة، وأحطنا أنفسنا بجميع الظروف لموتنا الوشيك. إنها النهاية. لقد صنعنا كل شيء من أجل الانفجار. والنهضة ؟ مجرد شكاوي للمتفائلين. فقد فات الأوان !

Twitter: @ketab_n

من الواضح أن ميلر يكاد يطير فرحاً، وهو يقود مبتهجاً نهاية العالم. يداه ترسمان الانفجار الأخير، قبل أن يسترسل:

- حتى في منتصف الليل أبقى مبتهجاً. هذا هو مزاجي. أحياناً كنت أدعو كي تُكتسح الكرة الأرضية من كل شرورها، كنت أرغب في إغراقها لأني لا أنتمي إليها.

- تحلم بمشهد الكابوس كحنين للكمال؟

- نعم، أهاجم لكي أحمي نفسي جيداً. لكنك منزعج، أرى... لأنك مازلت شاباً. كيف تحلمون بالمستقبل؟

- كيوتوبيا وردية! أحلمه متجدداً، متفتحاً، متسامحاً، عالم للأرضيين وليس للوطنيين توزع فيه الثروات. عالم الرغبات وليس الواجبات... لكن كوكبنا يفقد سفنه الواحدة تلو الأخرى: يكفي أن تقرأ أخبار العالم. أنتم من كتب بأن اليونان هي القلب الأسطوري للعالم. وإذن ففي كنسوس، وفي عز النهار، وبين الحطام، يمكننا أن نلمح، داخل هذه الحضارة المينوسية المحطمة إلى هشيم، شبح المستقبل الذي ينتظرنا. سنفنى قبل أن تنفجر مجرتنا وتنتفخ الشمس بعد خمسة ملايير سنة.

- خلال التحطم الجهنمي للآلهة! سيكون رائعاً هذا الانفجار الكوني، اللانهائي يبتلع اللانهائي، ينفث ميلر، هذا الصمت السحيق للخلق، يا لها من حالة صفاء!

- لكن ماذا يستطيع الكاتب فعله غير تلويث الأوراق بالخربشات بعد النووية للتحذير لا غير؟

- أوه! لا يستطيع الكاتب فعل أي شيء. من هو ذاك الشاعر الذي رجّ العالم في القرن العشرين كما فعل هتلر؟ هل هناك نص معاصر قلب العالم كما فعلت القنبلة الذرية؟ نحن في قبضة الشيطان. أنت لمحت في

Twitter: @ketab_n

كنسوس بقايا الإله فقط.

- الواقع يضخم الشعري: ألم نبتكر ما يمكننا أن نفجر الكرة الأرضية مئات المرات؟ إنه حدث فريد في تاريخ البشرية... تكفي بعض الأشعة كي نتذمر!

- لا أريد أن أبدّل هذا المشهد بأي شيء آخر في العالم، يصيح ميلر.

- سيكون مشهداً بلا مشاهدين!

- سندخل حقبة الدلو، الحياة الجديدة بشرط أن تُنزَع الأسلحة نزعاً تاماً وإلا.. معكم حق، نعيش فصلنا في الجحيم.

- ألم يكن رامبو تنبئياً؟

- كان كذلك! لقد طابق مصيره بمصير عصره، وكما تقولون، هو المرحلة الأكثر فصلاً التي عرفها الإنسان. فإما أن يهلك وإما أن يتعلم حكمة جديدة. رامبو جحد بكل شيء كي يختلق كل شيء. أما نحن فقد وضعنا ثقتنا بقنبلة ستستجيب لصلواتنا.

- الشاعر الحقيقي عاش دوماً منبوذاً.

- اليوم هو في طريقه للانقراض. تكتب القصيدة بعبارات كيماوية أو بفيزياء نووية.

- هؤلاء الوحوش فروا من المختبرات.

- في ذروة القرن التاسع عشر، كان رامبو قد لاحظ أن العلوم ليست سوى خدعة والأخلاق كما الديانة صالحة للبدائيين. كان لديه نفاذ بصيرة منبئ: مكان الوطنية كان يكتب خدعة.

- كتبتم في كتابكم المخصص لرامبو (عصر القتلة) أنكم كنتم ترون من خلاله وكأنكم ترون في مرآة.

Twitter: @ketab_n

- صحيح، اكتشفته في وقت متأخر، لحسن الحظ، فرامبو بالنسبة لي . . . ! لو كنت اكتشفته في شبابي، أتساءل إن كنت أستطيع كتابة سطر واحد. رامبو نجم حارق، غالباً ما أكتب عبارات لرامبو على حيطان بيتي. أحب فيه تمرّده، وكما قالت كلوديل هذا «التصوف في حالته الخالصة».

- نتحدث عن القيامة العظمى والكارثة النووية منذ بداية الظهيرة وكلما أوردنا هذا الموت الجماعي، تبدو لي مبتهجاً. ألا تخاف حقاً الموت ؟

- لم أعد أخشاه، رغم أن إحدى قدميّ هي في القبر سلفاً ! من قبل قاومت بشراسة الخوف والقلق من الموت. بالنسبة لي البطن يعني رحم الموت، بطن المرأة يذكرني بما كنت عليه قبل أن أقفز من كِلْيَتي أمي: إلى لاشيء. الشهر المنصرم صديقي رونوار مات ومع ذلك لم أذرف دمعة واحدة. قلت لنفسي: (ربما هو هناك أفضل مني هنا). منذ ست سنوات أجريت عملية جراحية عاينت خلالها الموت عن قرب، من قبل لم أفكر جدياً بذلك. وأنا أحدثك لا أعلم الوقت بالتحديد الذي توقفت فيه عن التفكير في الموت.

يداعب ميلر ذقنه تاركاً العنان لهمهماته. مقلتاه الداخليتان تسبران الماضي.

- بعد موت والدي، يواصل ميلر، لم أعد أخشى شيئاً. موته صدمني كثيراً. أحسست فجأة أني إبن عاق. فكرت أنه كان عليّ أنّ أتحدث معه أكثر. كنت أهرول في البيت مسحوقاً بالندم. السهر بجانب الجثة، عشت هذا مع أمي، يبقى بالنسبة لي ذكرى كريهة. دفن في مقبرة إفرغرين، وهناك فقدت الخوف من محاذاة الموت وحققت نوعاً من الإدراك، كما لو كنت متخلفاً عقلياً، جعلني هذا الإحساس أرغب في نبش جثة والدي واللعب بعظامه. فلم يعد يخيفني دود التراب.

Twitter: @ketab_n

ـ أنت لا تتحدث عن الموت كأمريكي.

ـ آه نعم، لماذا ؟

ـ لأن مواطنيك يجملون موتاهم كي يطردوا الموت: يعطرون ويطيبون موتاهم. داخل توابيتهم المبطنة يبدو الموتى في أحسن صحة من الأحياء: الخدود موردّة، العيون مرفوعة، والشعر مدهن، وأحيانا مصبوغ، الأسنان مبيّضة، الوجه مرشوش بمسحوق أسمر خفيف.

ـ وكأنك قمت بزيارة لجثث المنطقة، يرفع ميلر عينيه الدائريتين.

ـ لقد زرت عدداً كبيراً من دور مواكب الدفن. يفتنني تنكّير الموت. في كورتلاند تحدثت إلى محتضر (صديقي بيل مَن دلّني عليه، كان يقطن حيه) الذي عاش حياته كلها وهو يدفع أقساطاً لشركة تأمين كي يضمن دفناً باذخاً. السلاح على اليسار لكن الموت من الدرجة الممتازة !

ـ هذا صحيح: الموت بالنسبة للأمريكيين ينبغي أن يكون تطهيراً. نوع من النفي للميت. كأنك تقول: أسرع، أسرع، اطردوا رائحة الجثة.

ـ وبعد الموت ؟

ـ قلت لك: لغز ! لكن بيني وبينك، لديّ انطباع أن الأمور ستكون جميلة هناك في الجانب الآخر، وإلاّ كم الحياة مضيعة للوقت !

كل هذه الطرق المسدودة في الأفق، وهذه الوعود بالانفجار، والموت المقنع على الطريقة الأمريكية يرسلني إلى وساوسي العميقة. دون شك أملك جلداً ليناً و سيماء خيبة. ميلر الذي ينتزع جلود مخاطبيه الواحد تلو الآخر كي يصل الجوهر، يدرك استغراقي فيواصل:

ـ هل تعرف حكاية مضحكة ؟ كي نغيّر نوع الأفكار.

ـ مضحكة ؟ يحسّن ميلر وضعية جلوسه، مغضناً عينيه كبوذي.

Twitter: @ketab_n

ـ عندما زرت كنيسة عتيقة، كان معي صديقي برنارد. وقد أدهشنا طابور المخلصين الممتد أمام كرسي الاعتراف. ينبغي الاعتراف؛ ففي عمر العشرين كنا نقلّد رامبو، معلنين مقاومة الإكليروس بغضب. من هنا المسخرة الغريبة... في الصباح الباكر، أخذ برنا رد الرتبة الأولى في طابور الاعتراف، بعد ذلك انضم إليه خمسة أو ستة مذنبين. وفي الوقت الذي كان فيه القس يلج مقصورته، أتسلل إلى الغرفة الصغيرة خلف الهيكل مستولياً على جبة القس. ثم أتقدم بخطى حذرة جهة كرسي الاعتراف وبصوت خافت أهمس للمخلصين: (أنا القس الجديد، لقد جئت هنا لأنوب عن زميلي. إذا أردتم فالحقوا بي) لكن امرأة متوسطة العمر نهضت واحتذتني: لقد لمحت كرسي اعتراف آخر خلف الهيكل. في نفس الآن كان برنارد يجعل القس في حالة انتظار معترفاً له بخطايا فظيعة بحكي دقيق التفاصيل.

ـ هذه فكرة كاتب ومتلصص! يتعجب ميلر، إنه سبر للأرواح الغارقة في الظلمات.

ـ «ارتكبتُ عملاً آثماً، لقد رفضت إعطاء الملح لجارتي، لأنني أمتنعت عن الإحسان، أظن أنني أكرهها» كنت أحسني مسمراً في مقصورتي المقدسة، مشوشاً بحكاية الملح، كنت أنتظر هلوسات، مخجلة من النوع المرضي، الشبيه بموضوعات مورياك. «امنحيها غداً علبة ملح وسيغفر لك» «نعم أيها الأب. هل يجب أن أصلي؟» الفضول يشدني. ماذا يوجد خلف هذا الملح الذي لا قيمة له وهذا الكره الغريب؟ «أختي»، قلت بهدوء، «هل تحبين زوجك؟» صمت وقرقعة الكرسي. سؤالي المفاجئ جعلها حذرة. «أختي، لا تقلقي، أجرب اعترافاً جديداً في أفق تجديد طقس الاعتراف المقدس». «آه! طيب»، قالت بصوت مطمئن. «في الحقيقة، أيها الأب، أبذل كل قوتي كي أحبه بكل جوارحي، أقسم على ذلك.» «ولم كل هذا

Twitter: @ketab_n

المجهود؟ أليس الحب شعوراً طبيعياً؟» «أقوم بواجبي كزوجة. . .» «لا تحبينه حقيقة؟» ألح عليها. «لا أحبه حقاً.» «هل تحلمين بقتله؟» «. . .» «قلت: هل تحلمين بذلك؟» «أيها الأب، لا أستطيع الاعتراف بذلك. . . نعم.». «هل مازلت تحبينه جسديًا؟» قلت بصوت شديد الحشمة. «لا» قالت بصوت بريء. «كم مر من الوقت على. . .» «آه، عشرون سنة. . . .» «كم عمرك؟» «خمسة وأربعون سنة» «هل يعاملك زوجك معاملة حسنة؟». «لا أيها الأب، إنه عنيف ويبحث في الخارج عما لا يحبه عندي، أنا تعسة أيها الأب، شقيّة ويائسة.» بدأت المرأة تبكي بهدوء، وأنا كنت في وضع قلق. خلف هذا الشباك، شعرت بيأس كبير، واستسلام فظيع جعلني أتعاطف بشكل مطلق مع المرأة. وهذه المزحة عوض أن تسليني أخجلتني. «امنحي آلامك لله. ولا تيأسي، فالحياة الحقيقية لا توجد هنا على الأرض». كانت حنجرتي مختنقة بهذه الحياة الخائبة: قلت لها بالضبط عكس ما كنت أفكر به ـ لكن ما العمل؟ «شكرا لك أيها الأب»، قالت المرأة، «لقد منحتني شجاعة كبيرة» تخليت عن الجبة والتحقت بكرسي الاعتراف الحقيقي حيث سمعت صوت برنارد الثعلبي: «آه! أيها الأب، كم أحببت أن أكفر عن هذه المضاجعة الكريهة» هو على الأقل، استمتع بهذه المزحة. رغبت في حكاية مضحكة. لكن هل هي حقاً كذلك؟

يهمهم ميلر: إنها إنسانية، هذه المغامرة، أقصد مسلية ومأساوية. قال ميلر ببطء، إنسانية تماماً.

تطلعنا عبر النافذة إلى الزمن الهارب. الليل ينسدل الآن فوق المحيط الهادئ.

في عشية نهاية الأسبوع، كان سانسيت بولفار غاصّاً بالسيارات. محرك

Twitter: @ketab_n

بجوار محرك، الأدخنة السوداء للوس أنجلس ستتلاشى فوق شاطئ المحيط الهادىء وداخل سياراتهم الضخمة يبتلع الركاب وكذلك المشاة قطع الهمبورغر المتراصة فوق بعضها البعض، يقرشون الفشار من نوع البيانوس، ويلحسون المرشملوي، و يمصون الفودجيكل.

إنه حفل الثرثرة ذات الأربع عجلات.

أوكامبو درايف: سكان الحي يجزون العشب ويرشون أزهارهم بمركب من الفيتامينات. أما ميلر فهو غارق في تصوف السيدة بلوفتسكي.

ـ لم أطلعك بعد مطبخي وحمامي، يتعجب ميلر.

بطيئاً يتقدم أمامنا وبمساعدة عكازه الحديدي.

ها هو المطبخ. وجبته المفضلة معلقة على الحائط: PATA YACUL الكرات. LES ZUCCHINIS. AD PERPETUUM. وكبد العجل (يالها من لذة) ثم في الوسط وصيته مكتوبة بخط غليظ: (لا داعي للحمية من فضلك»!)

ليس مدهشاً أن ميلر لم ينقش نشيداً على حائطه لحساء الشعير اليومي الأثير لدى صاندي.

على طول الرواق هناك تدوينات تقضم الحائط: (اقتلوا بوذا)، (الحب، ملذة وعضو جمعي كلهم مؤنثين)، (لا تبحث عن المعجزة، لأنك المعجزة)، (إنه الفجر العظيم حيث تسير الحمائم).

هانحن في غرفة الحمام أو داخل دماغ ميلر! نساء، عبارات، ورؤوس الكتاب، مندالة يونغية، رموز ثاوية، نسخة لبوش، قصر بافيير للويس الثاني، هوكي، زوجته الخامسة، رأس لغيرديف، نساء ورجال عراة في وضعيات مرحة... قلت له:

ـ حمامك متحف استيهامي حقيقي.

Twitter: @ketab_n

ـ تقريباً كما لوحاتي المائية، أحب وجه هرمان هسه ـ هنا على اليسار. إنه كاتب أثر فيّ كثيراً. أقدم دليلاً للنقاد، لديه رأس جميل، أنظر إلى قسمات وجهه ! أغلب الكتاب لهم دم فاسد لكثرة اختلائهم بأفكارهم.

عدنا إلى الصالون: جلسنا وسط مائياته. وباشرت لعبة الطاولة الشفهية بيننا:

ـ بالأمس، هذينا حول مستقبل الكوكب، لكن كيف تنظر إلى مستقبل الأدب؟

ـ قريباً، لن يكون هناك أدب. أجابني بسرعة. لم يعد الناس في حاجة للكتب. التلفزيون سيلتهم كل شيء. أنا جد متشائم، ينهي كلامه مقهقهاً بالضحك.

ـ إذا توقفنا عن القراءة، هل ستنجو من الخلود.

ـ ربما لا، يعقب ميلر وهو يرمقني بلمح البصر: أوافق إمرسون الرأي الذي يدعي أن مستقبل الأدب سيكون الأطوبيوغرافيا. قراءة سير الآخرين، بين مسلسلين متلفزين غبيين وبعض التفجيرات النووية!

ـ في رأيكم، لن يكون هناك رامبو القرن العشرين.

ـ لا أرى أحداً في الوقت الحالي، لا أطلق اسم شاعر على الذين يكتبون بدون قافية. الشاعر الحقيقي من يغير العالم، صوره، وصراخه يُغلي دماء قرائه، يحول وجودهم الصرصاري. إنه لغة رمزية للروح، وفن علاجي.

ـ ما يقلقني أنك تعطي نهاية أخلاقية تقريباً ـ بالمعنى الواسع ـ للإبداع الفني.

ـ أوه ! لا، أريد أن أقول ما يلي: الفنان يعالج ـ رغماً عنه، يجد الخلاص لنفسه، وأحياناً يمنح الخلاص للآخرين. الأدب عمل تخيلي وقدرة سحرية للغة في علاقتها الشهوانية بالحياة. نوع من الشفاء، بعد الإصابة.

Twitter: @ketab_n

ـ منذ مراهقتكم وأنتم تلتهمون الكتب، وبشراهة الأدب، أعتقد أن معدتك القرائية قد هضمت هذا العجين الورقي اليومي بلا أدنى قرقرة ماء.

ـ نعم، قرأت باستمرار ثلاثة أو أربعة كتب دفعة واحدة. ليس الآن، فلم تعد لدي إلا عين واحدة. تعرف، كنت أقرأ بلا نظام كل ما يمر أمام عينيّ، بدون منهاج وبدون إكراهات. لكن كما الأبقار كنت أجترّ ببطء.

ـ وبينها الكتب الفرنسية ؟

ـ المفضل عندي هو بليز سندرارس، قال ميلر بحنو. إنه إنسان الشارع المغامر في شتى المجالات. كاتب كبير. وقلب كبير أيضاً ـ وهذا هو الهم. لكن مالرو ! لم أستطع يوماً أن أقرأ سطراً واحداً لمالرو. بطولة مبالغ فيها! موسوعة بدون قلب. إنه الموت بعينه.

بم ! ها هو مالرو ينهار بين أرجلنا، مغمى عليه بعبارات ميلر. أما هو فمحاط بمائياته ورسوماته الفطرية حيث الأحمر والأصفر و الأزرق والأخضر يتكدّس و يشن حرباً كي ينبجس عالم عجيب ومثير.

وجوه بشرية تظهر من وسط الطبيعة حيث ينغرس حَشْدُ بشر صغير. بعض المائيات مخطوطة بكلمات مكتوبة أو مصبوغة وبخط غليظ : (لست بليداً أكثر من آخرين)، (لا أهتم بالعاهرات)، (أدخل، دون دق الباب)، (دوكيو يام ـ سن)، (هارا ـ هاري)، (فاك أدوك)، (الأيام تمضي، والنساء كذلك، أما أنا فأبقى سليماً).

ـ قلتم ذات يوم: (في بيتي، الملاك يرسم والشيطان يكتب).

ـ هذا صحيح، أثناء الرسم اكتشفت حناناً جديداً. هذه مثلاً، مشيراً إلى مائية (Insomnia) ، تعكس تقلباتي المزاجية حول ضربة الثالثة ليلاً.

ـ أحب كثيراً هذه النسخة.

ـ هل تريدها ؟

Twitter: @ketab_n

ـ بكل سرور.

ـ تعرف يا بسكال، لم أكن أثق في قدرتي أن أكون رساماً. كنت أجهل جهلاً تاماً كل ما يتعلق بالرسم. لكن رسامين كبار كلهم قالوا لي: (أنت، أنت رسام فعلاً) فأجبتهم: (لكني لا أعرف حقاً كيف أعد رسماً!)، (ليس مهماً، استمر! على الخصوص لا تأخذ دروساً في الرسم!)

ـ طبقتم النصيحة بالحرف.

ـ آه، طبعاً. يهمهم ميلر... بيكاسو (الذي لم ألتقيه أبداً) قال في معرض لرسومات الأطفال لشيغال أو لجيه: (آه لو كان بإمكاننا أن نفعل هذا اليوم!) عبارة عظيمة، مع التعلم نفقد دائماً شيئاً ما. كل ما نحتاجه هو الشجاعة، والروح، والحساسية وهذا..

ميلر مقهقهاً يقوم بحركات استهزاء، واضعاً إبهامه فوق أنفه.

ـ يعد لازمة رفضك الشرس لكل الأنظمة التعليمية.

ـ نعم! نعم! نعم! يجب تفجير جميع المدارس. هنا في أمريكا، ندرس كل شيء، وهناك دروس لكل الناس. مع ذلك انظر إلى المستوى الثقافي للأمريكيين: ضعيف! متخلفون حقيقيون ثقافياً! مع أننا ندرس ـ وهذا يكلف أموالاً باهضة! ندرس حتى كيفية الكتابة، والإبداع. وهذا لا معنى له. ندرس كل شيء ما عدا الحياة. ما يلزم قطعاً هو تعلم كل شيء من تلقاء أنفسنا ومن خلال التجارب، الحياة، الكتب التي نتلقفها من هنا ومن هناك، وأن لا نخضع للأوامر، خاصة أوامر الآخرين.

ـ هذا موقف نخبوي، بالنسبة لعصامي يملك أموالاً لا بأس بها.

ـ تزعم هذا لأنك أنت أيضاً أستاذ.

ـ أعتقد أننا يمكننا أن نتعلم كيفية التعلم، بدقة.

Twitter: @ketab_n

ـ يا للهول ! فرض مناهج للتعلم . ينبغي التعلم بلا دروس .

ـ ينبغي أن توجد الرغبة في التعلم ، لقطع الطريق ذاتياً ـ يمكننا المغامرة بعد ذلك بالتمرد على ما نتعلمه : وهذا زيادة ما تفعله .

ـ أغلب المتعلمين يفقدون الرغبة في التمرد .

ـ هذا صحيح .

ـ بصراحة ، أتساءل كيف يمكنك أن توفق ما بين التدريس والكتابة .

ـ كما احتفال ، عالم مصغّر : ركام من الاختلافات ، والبرعمة ، والتفجيرات ، و الامتثالية .

ـ سأتظاهر أني صدقتك ، يبتسم ميلر وهو يشد على يدي . لم أعد أومن بالحوار بين سقراط ومريده ولا بالنظام التعليمي بصفة عامة . السعادة العظمى والحظ الكبير بالنسبة لطفل في أن يختفي والداه عند إنجابه ثم يترك ليصنع مصيره بنفسه .

ـ من جديد ، قلت ، وحدهم الأقوياء سيعيشون ، أما الآخرين فسيصبحون اكثر بلاهة من المتعلمين الذين تشتكي منهم .

ـ هذه وجهة نظر أخرى . غير أني أظن أني صدمت بتجربتي القصيرة لتعليم اللغة الإنجليزية في مدينة ديجون . كانت تجربة مشؤومة ومضحكة في نفس الوقت . المراقب العام بشعره المستعار وصبوت الكولونيل ! ناظر المدرسة ، عبوس ! وفي الممرات توجد تماثيل نصفية لراسين وكورني وفولتير . لكن لا يوجد فيون ولا رابليه ولا رامبو . زملائي الأساتذة لا شأن لهم ومستواهم رديء . وكان على التلاميذ أن يبتلعوا آراءهم ، ورؤيتهم الضيقة للوجود ، وإلا . . . كانت لدي رغبة في إحراق هذا السجن .

ـ درسكم الأول كان مثيراً ، إذا لم تخني الذاكرة .

Twitter: @ketab_n

ـ يهمهم ميلر: كنت مطالباً أن أتحاور معهم بالإنجليزية عن الحضارة الأمريكية. عندئذ بدأت درسي بشرح كيفية ممارسة الجنس عند الفيلة.

ـ هل تعلمت هذا ؟

ـ كانت لدي بعض المعلومات الفيزيولوجية عن الفيلة، ثم... يهمهم... ارتجلت الباقي. كان التلاميذ يصفقون: (المزيد ! المزيد !) وفي اليوم التالي كان الفصل مكتظاً. قلت لهم: (هيا اسألوا عن أي شيء !) ثم انهمرت الأسئلة.

ـ كان يمكنكم أن تصبحوا معلماً خرافياً.

ـ تعرف، كانت هذه الثانوية تشبه ملجأ للمجانين. في مدرسة أخرى كان المراقب سيطردني في الحال !

ـ لقد احتفظت بذكريات جيدة عن باريس، عكس ديجون ؟

ـ في باريس، عندما كنت لا أجد ما أكتب، أتنزه بالنهار والليل. كنت أعرف باريس أحسن من الباريسيين أنفسهم، خصوصاً المطاعم الصغيرة الرخيصة وبيوت البغاء أيضاً. كنت أتعاطف مع المومسات. دونت الكثير من الملاحظات في باريس: المدينة والحياة كانا يلهباني.

نظرات ميلر تسافر بعيداً... نحو طراسات الحانات ومقاهي المونبرناس أو سان جرمان، في باريس الثلاثينيات حيث كان يتسكع بجيوب فارغة وأفكار يغص بها الرأس. في مدار السرطان يعلن باريس: (مدينة خالدة). لمحت في عيني ميلر المشعتين هذه الباريس الصاخبة والغريبة... فندق الأرانب، عذراء الساندويتش بزقاق الآنسة، أساطير المبولة العمومية، مذابح فوجيرارد، مذابح الهيبوفاجيك أو ميلر، حيث لاحظ ذات مرة بقع الدم على ملابسه فاعتقدها له، مومياءات الطروكديرو، ويبلير ساحة كليشي حيث كان ميلر يجمّع الوجبات

Twitter: @ketab_n

وأسماء أشهر الخمور.

ـ هل تحسون بالحنين إلى باريس ؟

ـ نعم، أعترف بذلك، بيد أنى لا أعيش في الماضي. لدي ذكريات عن الحاضر. أنظر هنا، إلى هذا الحي، إنه يشبه معرض جثث، تقريباً كما في ألمانيا. ليست هناك حياة، حياة رتيبة. كل شيء زائد النظافة. معقم وميت. هل تسمع مجزّات العشب. لا أحد من سكان بسيفيك باليزاد يستطيع التخلي عن مجزّته يوم السبت ظهراً ! إنها صلاتهم للرفاهية.

ـ تعيشون هنا حياة أكثر هدوءاً من باريس.

ـ حياتي هنا مضبوطة، ومشرقة بدل أن تكون فرحة مثل خشبة المسرح. لكني أستضيف أصدقائي : الأسبوع الماضي كان عندي فيتناميين، أحدهما مترجمي وكنت أجهل أن كتبي ترجمت للفيتنامية. جاءا هاربين من هناك، كانا جد بائسين. أعطيتهما بعض المال ورسومات مائية : يقدر ثمنها الآن بألفي دولار.

ـ بعيداً عن كونك الحقيقي، جنتك الصغيرة السابقة، هل مازلتم تعتبرون أمريكا مثل : (كابوس مكيّف) ؟

ـ أكثر من السابق ! خصوصاً المدن المتروبولية التي ستنهار اليوم أو غداً. الحياة هنا أضحت لا إنسانية، نحن أمة متسمّمة تعيش انحطاطها.

ـ مع أنها موطن التكنولوجيا المتطورة.

ـ مجرد آلات ، نعم : ثلاجات تعمل، أجهزة تلفاز برونق بارز ، إنسان آلي لأشغال المطبخ. . . لكن أين تعشش روح هذا الوطن ؟

ـ لقد كتبت لا أتذكر أين : *(أفضل أن أقتات بروث الحصان في مايوركا على أن آكل الشرلوط بالقشدة في كليفلاند)*

Twitter: @ketab_n

ـ هل كتبت هذا ؟ دون ريب. مازلت على موقفي، فكليفلاند بالنسبة لي حفرة ضائعة، كئيبة ومقززة.

ـ ونيويورك ؟

ـ إنها الجحيم المتجمد، الوحدة القاتلة، والقذارة.

ـ عندما تتحدث عن نيويورك أو أمريكا، أحس أن لديك خيبة، فبدل نيويورك أرى أماً قد طردتك.

ـ لم أفكر في هذا.

ـ خلف الفظاظة والضغينة والبصاق الذين لطخت بهم بلدك، أحس أن هناك شكلاً من الحب الذي لم يجرؤ على تسمية نفسه.

ـ هنا، أنت تبالغ، يسخر ميلر، أراهن أن نيويورك تبهرك !

ـ بالفعل، لكن بشكل ملتبس، لأنه ماذا بعد نيويورك ؟ لن تنجو نيويورك من الدمار. إنه التفسخ والانحراف المباشر ! كل هذه الجحور وهذه المجاري حيث تطفوا الصراصير، والهوام التي تغير بحثاً عن قطع اللحم. والمدمن على المخدرات الذي يتربص بضحيته، كل صناديق القمامة مبقورة وكل المشردين النصف موتى يصعدون من باطن الأرض عند منتصف الليل.

ـ أفكر أن القذارة تثير اهتمامك.

ـ لكن الحياة تخطو بجوار الموت في نيويورك. مثل الراجلين، ثم فجأة أحدهم ينهار على الرصيف. تتشظى الحياة في كل اتجاهاتها وتناقضاتها التي تتلاقى وتتعارك. هناك تقريباً كل عينات الإنسانية في هذه المدينة، ذهاب وإياب مكهرب، بابل ٢٠٠٠، حيث كل شيء يبدو ممكناً... الأحلام المجنونة، اللقاءات الغريبة.

Twitter: @ketab_n

ـ نعم، هذا حقيقي. لكن أصبح الناس مجردين من إنسانيتهم : جثث منساقة مع التيار، والجيوب محشوة بالفشار والكوكايين.

ـ لِمَ تعيش هنا ؟ وليس في باريس أو اليونان ؟

ـ كنت دائماً أفكر أني سأعيش في هذا البلد، لكني لا أنتمي أبداً لهذا البلد. الآن لا أخرج من البيت أبداً، هذا لم تعد له أهمية. تعرف، أنا أسافر في داخلي.

ـ مثل مواطن كل العالم.

ـ بالضبط، يمكنني أن أكون في الصين، في التبت، في باريس. أسافر داخل رأسي.. و هذا أكثر غنى وأقل إرهاقاً.

ظهرت صاندي في الغرفة ظهوراً صاخباً معلنة قدوم سيدة تدعى برينتا.

ـ أوه برينتا ! يتعجب ميلر، برينتا ! يا للسعادة ! دعيها تدخل ! فلتحضر! برينتا !

لم يعد ميلر قادراً على الثبات في مكانه، يرمقني بابتسامات و غمزات هامساً في أذني : (سأشرح لك غداً). يعدل منامته ويمرر يده فوق رأسه ليمشط بضع شعيرات وهمية. إما أني مخطئ أو أن ميلر يتصرف كعاشق ينتظر عشيقته. كم إذن عمر هذا الرجل الذي يعرقص أمامي كمراهق خلال موعده الأول ؟ الحياة تتجدد دون توقف ! هذا الحب للحياة يضيء وجهه، يقوّم جسده ويحوله أكثر خفة. يمكنه أن يحلق في اتجاه برنتا! فما كنت سأصدق هذه المعجزة !

تدخل برنتا: طويلة، شعر أسود، أنيقة و مزين وجهها بعناية. تقبل ميلر فوق شفتيه وتحيينا. تتكلم كما في السينما مستعرضة بعض المؤثرات : صوتها رخيم بعض الشيء. الكثير من الجاذبية. ميلر يستسلم للإغراء : ابتسامة ملاك، عينان تشعان، يهمهم... إنه العسل. ميلر في مكان

Twitter: @ketab_n

آخر، يده في يد برنتا، يحلّق، ويسافر. يبدو أنه نسي الواقع، أمريكا، رامبو، القيامة القادمة. الحب الذي يغير. داخل عش العاشقين الفتيّين.

أنا ونينو أصبحنا رسمين مائيين أو رسمين بالغواش زائدين. تسللنا نحو الباب وأغلقناه وراءنا بهدوء. آلات جز تعبث بالعشب. ليلة سعيدة، يا هنري!

Twitter: @ketab_n

عاشق الحرية

بسرعة جاء اليوم الأخير رفقة ميلر، الموعد اليومي الأخير للساعة الثانية بعد الظهر. وحدها صاندي ستكون سعيدة بانتهاء هذه اللقاءات: كل يوم تشيّعنا بنظرات تزداد كرهاً يوماً بعد يوم. اليوم، دون أن تنبس بكلمة واحدة، تفتح لنا الباب مشدودة داخل سروال الجينز المخفف اللون والتيشورت الضيق على صدها البارز. ولكي أستفزها قلت: (أنت جميلة، ومغرية !) عوض الإجابة، أغلقت الباب بقوة. (أنت إحدى أجمل النساء التي صادفتهن. أحبك كثيراً، ياصاندي. سأتمزق ألماً لفراقك، أنت جد رائعة) واصلت كلامي بالإنجليزية. تجمعت شراستها في عينيها، وهزت منكبيها وجمعت كل قواها. لا ينقص إلا القليل كي توجه لي لكمة إلى العين اليسرى. من يدري ؟ فالصداقات الحية تولد أحياناً بين النفور والعنف.

أمامنا مبلر طري مثل زهرة تخرج من التراب، استقبلنا وصافحنا بحرارة:

ـ بسرعة، ستذهبان غداً ؟

ـ اعتقدتُ أن صاندي ستصعقني بنظراتها هذه الظهيرة.

ـ امرأة غريبة في تعاملها مع الآخرين. تعتقد أنها تحميني، إنها تحميني من

Twitter: @ketab_n

المزعجين. متسلطة كثيراً، صاندي، تقريباً كأم بالنسبة لي. أم في الثلاثين لإبن في الثمانين. تعمل كثيراً. كان إبني قد تطوع في وقت من الأوقات كي يعمل سكرتيراً لي، عند نهاية الأسبوع الأول صاح: (أبي. أنت هتلر حقيقي!) لكني غارق دوماً في العمل، أطلب كل شيء، أقول: (قَدّمي لي كل شيء) وآخذ كل شيء، غير أني أنا بدوري أقدم كل شيء. هذا نوع من التوازن.

ـ إنها رسالة من ذهب في كل أعمالك.

ـ أوه! نعم، أتمنى ذلك.

ـ هل أنت متأكد من أنك كاتب؟

ـ أنا، نعم! لكن الآخرين فلا. معي حق، أليس كذلك؟

ـ لقد بدأت الكتابة في سن متأخر.

ـ مارست جميع المهن، ولأني كنت أفشل في كل مرة، قلت لنفسي: (هنري، لم يتبقَ لك سوى أن تصبح كاتباً!) جان دفعتني لذلك في ذلك الوقت. وأنييس نين أيضاً، أدين لهما بالكثير، رغم أن جاك عذبتني كثيراً... وربما بسبب تلك المعاناة الغير إنسانية. في العمق، كتبت بسبب اليأس. أنا مدين لجان بكل شيء. شكر الجلاد، هذا مسل، أليس كذلك؟

ـ أنت تبالغ، يبدو لي أنه، إلى جانب المعاناة، فقد عشت بجانب جان لحظات نشوة عاطفية قوية، وصفحات الحب في *مدار الجدي* تشهد على ذلك.

ـ نشوتنا كانت رهيبة، كنا نمارس الحب بسعادة بالغة، كانت بيننا أيضاً تلك العاطفة المرضية، الحياة العادية لم تكن عادية، لكن آتية من فرح غامر، مع أنني كنت أُصْلَب على الدوام... وكنت أقبل هذا!

Twitter: @ketab_n

ـ كنتَ تسمّي جان بنجمتك السوداء.

ـ هذا الاسم يناسبها جيداً! دعني أقول لك شيئاً مهماً، يا بسكال، سأكون مسروراً لو أنك توقفت عن مطالبتي بتفسير هذا العمل أو ذاك أو هذا الشيء أو ذاك. لدي إحساس دائم بأن هنالك آخر مَن كتب مكاني... ثم إن شرح الكاتب لعمله، فيما سيفيد؟

ـ سأل صحفي بيكيت فقال: (لكن في النهاية من هو غودو؟) فأجابه: (لوكنت أعرف لما كتبت المسرحية).

ـ معه حق! عندما أكتب، يشتد التفجر، فلا أستطيع التحكم في الأمور. قلت ذات يوم: أفتح الصنبور، يتم التدفق لساعتين أو ثلاث كحد أقصى.

ـ لا تضعون تخطيطات لكتابتكم؟

ـ نعم، لكني أكتب بسرعة إلى درجة أني لا أكون نفسي. أنا نفسي أُتَجَاوَزَ في العملية.

ـ التدفق الأول للحمم، هل يكون في شكل نهائي ومتكامل؟

ـ لا، لكن الأهم قد وقع في الشبكة. بعد ذلك أضع النص في الثلاجة لمدة معينة. فيما بعد أصحح أو أمزق وأعيد الكتابة من جديد.

ـ لكن ولادة الفكرة تحدث سلفاً.

ـ يهمهم... أظن أني أجتر العمل كله وأنا أمشي، لقد ألفت جميع كتبي في رأسي وأنا أتسكّع مشرداً في نيويورك أو باريس. أحاور أصواتاً داخلية، وأشخاصاً يسألونني.

ـ ما يفتنني هي كيفية مجيئك للكتابة، من خلال تلك الليلة الشهيرة، ليلة الإشراق الإبداعي سنة ١٩٢٧، عندما كتبت التكثيف الكامل لمجمل

Twitter: @ketab_n

أعمالك، بأسلوب تلغرافي. معي مقطع من تلك الملاحظات التي وظفتها كمنطلق لكتابة (مدار الجدي):

(ل) قرر أن يصنع الدمى، لبيعها. وأيضاً أقنعة موتى. عند الفجر أخرج لسرقة قنينات الحليب والكروسان في أروقة البنايات. أتسول على طول شارع برودواي وعند بوابات السينما ومراقص الليل. حريق في بوروف هال: شخص يلقي لي مالاً وسط مجرى الماء. (...) العلاقة مع ل بدأت تتحسن. النوم ثلاثتنا على نفس السرير. ج أصبحت تغير. مازلنا مستمرين في سحب المال من الأغنياء الأغبياء على نطاق واسع، لكن هذه المرة تحولت الأمور إلى مهزلة. لقد خطرت ببالي فكرة بيع دمي. زيارة المستشفيات. يجب أكل أحسن الأطعمة. شرب الحليب والنبيذ، إلخ. خبير المصارعة اليابانية في كفتيريا هربر أحضر لنا أجرة البيت ودسّها من تحت الباب بينما نحن داخل السرير. البحاران في خارج غرفة ل يموتان من شدة البرد ويلصقان أذنيهما على الأبواب. سكر صحبة ب الشيروكي الهندي، ليلة عيد ميلاد س، خرجنا للاحتفال بالمناسبة. ارتديت قميصاً كاكياً ممزقاً. مرقص ليلي في جزء المدينة العلوي. نشرب كل ما تطالها أيدينا. ثم حوصرنا أمام الحائط وفُتشنا من طرف أشخاص أشداء. س بأسلوبه المجنون قدم ببرود شيكاً بلا رصيد. مشهد في حجرة تغيير الملابس حيث الملاكم السابق يهدد السكارى. الرجوع

Twitter: @ketab_n

عند الفجر والعثور على ب نائمة فوق سريري. جرها من شعرها والتبول عليها. ثم السقوط للنوم داخل المغطس والإشراف على الموت غرقاً. الرجوع عند بول وجو قرب الزقاق الرابع عشر. الانتظار في البريدج بلازا لمراقبة ج إن كانت ستأتي على متن التاكسي. إيجادها في البيت مشلولة بالكحول. في الغد بدأت تتخاصم. سيستمر الأمر ثلاثة أو أربعة أيام صباحاً وليلاً. حكاية الاغتصاب من طرف خبير المصارعة اليابانية. تفسير ج وذهابه للبحث عن المصارع برغبة الانتقام والقتل، عودة صامتة، سمع محاورتهما على الدرج. فجأة انفجار في حي جيرزي واكتشاف ل على الدرج. المواجهة الأخيرة، تركها تموت في الثلج رغم احتجاجاتها وتكذيبها. أذهب نحو الغرب...

ـ يمكن القول أنها حقاً تلغرافات، يتعجب ميلر. كانت رسائل مشفرة أنا وحدي من كان باستطاعته تشفيرها. كتبت خلال ليلة واحدة حكاية حياتي كلها. استطعت تذكر كل شيء. في العمق، بدأت من الكاووس، من الظلمة حيث تختلط الأفكار والانفعالات والتجارب. كان ينبغي أن تخرج. كان هذياناً. لكن، أعتقد أن جميع الكتّاب قد عرفوا مثل هذه الليلة، حيث الآخر (المختفي داخله) ينفجر كما البركان.

ـ إذن لا شيء ولا أحد يمكنه أن يمنعه.

ـ الحواجز تتهدم، والعوائق تنهار، الحياة الحقيقية تنفجر كحمّة... يهمهم ميلر ثم يضيف... هل تفهم لماذا يعتبر لوم كاتب عن استعمال كلمة عوض أخرى أو استحضار موقف بدل آخر شيئاً منحطاً. في المسرح، الأمر مختلف.

Twitter: @ketab_n

ـ تقاليد وشروط المكان والفضاء لا تسمح بانفلات الأنا، فقط في المنولوغ أحياناً.

ـ ألا ترى معي أننا أصبحنا أكثر جدية؟ نحن الآن بصدد تقشير العملية الإبداعية. هناك بعض المنظرين يقضون حياتهم في التساؤل عن كيفية خلق الآخرين لأعمالهم... دون أن يخلقوا هم أنفسهم! ألسنا في موقع أحسن للحديث عن ذلك؟

ـ ورغم شهادتنا الإبداعية، فإننا نخفق.

ـ لأن هذه الصيرورة تتجاوزنا، فإننا لا نتكلم إلا بتأنق. إننا مترعين بالغموض ومحفوفين بهالة من القداسة. هذا يقربنا من الإله. أليس هذا مميزاً؟ ثم إن الأشخاص يطرحون عليك نفس الأسئلة: (لكن في النهاية، كيف كتبت هذا؟ أرجوك، اعترف لي بسرك).

ـ بخصوص الأسرار، أنت بالأحرى من النوع (أنا أقول كل شيء). إذا كتبت رواية حياتي ـ أو على أي حال، بعض الحلقات ـ وإذا صرحت ببعض الأسرار عن أصدقائي محولاً إياهم، رغماً عنهم، إلى شخوص سردية، أظن أنهم سيعاتبونني عتاباً شديداً.

ـ لا يجب تصديق ذلك، صاح ميلر. لا أحب بعض الأصدقاء مثل فرنكل. صنعت منه كاريكاتورات وإذن، فحتى هذا كان مبهجاً العثور عليه في كتبي: (شكراً، شكراً، إنه رائع) كانوا يقولون. غرور الرجال بالتأكيد...

ـ وجان؟

ـ كنا نعيش معاً، كان الأمر مختلفاً. كانت تراقبني، تفتش أغراضي كي تقرأ ما أكتبه عنها. كانت تريد أن تفرض عليّ صورتها النموذجية. أحياناً، كانت تمزق صفحات، و تصاب بنوبات عصبية أو تساوم من أجل

Twitter: @ketab_n

تغيير بعض الأشياء. وكنت أصمد جيداً.

ـ في أحد الأيام، أنت من هوجم في كتاب، (الأب ميلر) المكتوب من طرف سكرتيرتك السابقة، ج روبيتاي، التي كانت تريد تصفية حساب معك.

ـ أضف إلى ذلك، يبتسم ميلر: فبمساعدتي كتبت الكتاب ضدي! تعرف، لقد عاشت تحت رعايتي وكانت تريد الكتابة هي أيضاً. فاقترحت أن تكتب كتاباً عني. في العمق، لقد دفعت لجيرالد كي تكتب كتاباً ضدي. مدهش أليس كذلك؟ في النهاية، أتمنى أن تكون قد ارتاحت بعدما قتلت الأب، كما نقول.

ـ جيرالد روبتاي و صديقك برساي يتهمانك بكونك مصاب بمس تخيلي، والكذب كما تتنفسون، وأنك في النهاية كتبت الحياة التي كنت تحلم أن تعيشها.

ـ في البداية، يبدأ ميلر، برسّاي ليس صديقاً حميماً لي. لا أحب برساي. في أحد الأيام جاء إلى كاليفورنيا لزيارتي، فقضى وقته في طرح الأسئلة على أصدقائي: (قل لي من هي المرأة التي يلتصق بها ميلر حالياً؟) خادمة، برساي! الحقيقة! ماهي الحقيقة؟ حاولت دائماً تقريب الفن قدر الإمكان من الحياة ـ من حياتي. فابتعدت بذلك عن المتخيل معتنقاً كل الأشكال من ذاتي أنا، كل أوجهي ناظراً إليها بأكبر قدر من الوضوح.

ـ لكن أصدقاءك تحولوا في شبكة كتابتك.

ـ كنت دائماً شخصاً مبالغاً، مضخماً للتفاصيل، دافعاً أفكاري وأحاسيسي نحو الذروة. السخرية هل هي كذب أم حقيقة أشد عمقاً؟ لم أدَّع يوماً أني أقول الحقيقة لكني قلت حقيقتي، شذرات من الحقيقة، وأصدقائي لم يعرفوا كل الحقيقة عني، بل بعض الشذرات، والتصرفات اتجاههم. كل

Twitter: @ketab_n

الوقت حاولت أن أقتلع أناي السرية، والمجهولة لدي . . . إذن أين هي الحقيقة ؟

ـ في كل الأحوال، كتابة الواقع، يعد سلفاً نسجاً لخرافة.

ـ النظر إليه برؤية متحوّلة. يذكرني هذا ببرقية لمارسيل بروست: (كذب سيلي) حياتكم المصفاة والمعاشة من جديد بواسطة الكتابة قد أصبحت أسطورة.

ـ نعم. . . ومن هنا جاءت أسطورة (ميلر). يستنتج ميلر.

أسطورة ميلر! كانت أول تعجبي : (أنا أمام أسطورة !) الحياة التي تختزل كل الحيوات ! الكاتب الملعون الذي زعزع وتمرد على الأخلاق ! زير النساء ! المتشرد المدير السابق ! رجل الأعمال المزيفة. . .

بموازاة مع الاستراحة، وبعد هذه الجولة من كرة الطاولة: كذب/ حقيقة، ونثرثر مع ذلك. وأنايس نين ؟ وبيرليس ؟

تركت أنايس نين أربعين مجلداً من السير الذاتية. (وهذا ليس هيناً)، همس ميلر بحركة ساخرة. ألفرد بيرلس، صديق ميلر القديم في باريس، يعيش في إنكلترا، الصديقان الشريكان المتواطئان يتراسلان بانتظام: (أحب كثيراً الكتاب الذي ألفه عني) قال ميلر. أحس أن كتاب بيرلس (صديقي هنري ميلر) يتوافق كلياً مع الصورة التي يريد ميلر أن يقدمها عن حياته وأعماله. عندما يتحدث ميلر عن بيرلس، أتلقى دبيب التواطؤ المطلق الذي يجمع الصديقين في باريس.

ساقنا الحديث إلى لورنس داريل: (أسلوبيٌ عظيم ! لكنه يعيش، الآن، مشاكل مالية. أظن بسبب زوجته. فهو مختف وصامت لا يريد أن تعثر عليه زوجته. تصوروا ! في مثل عمره ويحدث له هذا.)

شعاع الشمس خَضَّبَ الغرفة فجأة فغدت كل المائيات المعلّقة تشع بلون

Twitter: @ketab_n

ذهبي.

ـ إشارة من الإله أبولو. قلت.

ـ أنت أيضاً عاشق لليونان، أظن ذلك، رد ميلر.

ـ أقضي بها شهراً في السنة، هو من الأفضل على الجزيرة: كريت، سكيتوس، سكوبيلوس، ايسبوس، ساموس... لا أسأم من ضوئها الذي يمكن جسه، وعند كل برهة من النهار يرتعش ويعدد ألوانه قوة وكثافة.

ـ أفهم حماسك.

ـ اليونان غيرت فيك أشياء كثيرة! أذكر جملة في كتابك (جبار الماروسي): (الأرض اليونانية تنفتح أمامي ككتاب تجليات).

ـ بشكل آخر، فقد فتّح ضوء اليونان عينيّ، في الحال كنت أشعر بالأبدية المطلقة.

ـ كما لو أن الآلهة ما تزال تحرس الزرع.

ـ كنت أشعر أني في وطني، يواصل ميلر، لأول مرة في حياتي... في قلب مركز العالم.

ـ بعد النزول إلى جحيم المدارات، بدأتم رحلة المكاشفة والتطهير.

ـ نعم، تطهير في جميع الاتجاهات. تركت لحيتي تطول، استحممت عارياً، اكتشفت غروب الشمس، وخيط الأفق.

ـ هل هي رغبة أيضاً كي تصبح حيواناً، نبتةً، حجراً.

ـ يهمهم ميلر: مثل الشخصيات الأسطورية، أحلم أن أتحول إلى صخرة، أصيرُ شمساً، تراباً، ماءً، أن أعوم في السماء.

ـ في كريت، علامات كثيرة تحيلنا على الماضي البعيد: هذا الضوء

Twitter: @ketab_n

الناري، هذا التراب الأسود تارة والأحمر تارة أخرى، و هذه الصخور المنهارة.

ـ كنوسوس وفيسطوس، يتمم ميلر، قد تركا وشماً في جسدي، تعرف: بالنسبة لي، فقد اكتشفت طبيعةً وأنا في حالة جنون، قطعة من المطلق في حالته الأصلية، غير ثابت وشاحب. كنت أحس أن كل هذا سيمنحني الحرية، ويفتح لي آفاقاً جديدة.

ـ وتعرفت أيضاً على شخصيات خرافية، كما حلمتها أن تكون.

ـ عمالقة مثل كتسيبالي، لكن أيضاً على أشخاص بسطاء، فقراء يمنحونك كل ما لديهم: خبز وشراب وسماء.

ـ كاتسيباليس، جبارك الماروسي، يمكن اعتباره قرينك اليوناني، أليس كذلك ؟

ـ وإذن قرين مضاعف! إنه إنسان الأرض والسماء. بإمكانه أن يحمل محكمة بدون استراحة لعدة ساعات. صوته يدوي في البعيد. يرتجل أبياتاً شعرية بلغات متعددة أو تراجيديات ثم يلعب أدوارها كلها. في هذه الطبيعة، بدا لي كجبار حقيقي.

أفتح كتاب الجبار ثم أقرأ فقرة حول كاستيماليس الذي أحبه على الخصوص:

جالس في الشرفة، أسمعه يتحدث عن شفافية الهواء، عن اللوينات الزرقاء والبنفسجية للغروب، عن تقلبات الرتابة الراسخة أو المميتة، عن فردانية الأشجار والأعشاب، والفواكه الغريبة والأسفار داخل البلد، عن الإيقاع، والعسل، و عصير التوت، عن سكان بيلوبونيس، عن روسية مجنونة، ـ سكرت في

Twitter: @ketab_n

ليلة بمشاهدة القمر، فنزعت ملابسها ورقصت عارية تحت ضوء القمر الفضي. أسمعه، ولأول مرة تنفتح عيناي على الروعة الحقيقية للطبيعة اليونانية. (...) أحياناً في ذروة الحكي، يترك (كاتسيمبالس) جسده يسقط إلى الوراء، وعندئذ نراه في نظرته، يبرق هنا، واهناً كنجم بحري جانح، جسد ضخم من اللحم يحصي النجوم، يعدها ثم يعيد عدها في دوارها، الذي يشير إليه وكأنه سينسجه داخل حكيه، ليغدو سجاد غوبلن هائل.

ـ هنري، هل تقرؤون هذه الكتب ؟

ـ أوه ! نادر جداً، أو لأجل العثور على مقطع محدد.

ـ عندما يحدث هذا، هل تحبون أعمال هنري ميلر؟

ـ نعم ! عندما أبدأ أحد كتبي أنشد إليه، وأصبح مأخوذاً إلى نهايته.

ـ أنييس نين كان معها حق، عندما أكدت أن التناقض هو سلاحك المفضل: أنتم البيض والسود، الشيطان والإله.

ـ نعم، أنا التناقض كله. كاووس، إذا أردت. لكن أعتقد أننا جميعاً كوارث، لأننا نتخبط في هذا (الأنا) إلى نهايتنا.

ـ هل هذا الشعور بالتناقض، ما جعلك تتنقل من امرأة إلى أخرى، ولعدة مرات ؟

ـ ربما، فكر ميلر، لكن أيضا لأنني أحب المرأة المأسويّة، الهستيرية بعض الشيء، مثل الممثلات أو المغنيات، (هل تفهم ؟) لا أحب نساء البيوت اللواتي تتعيّشن في المطابخ. أقدم دائماً هذه النصيحة لأصدقائي الكتاب: (خصوصاً، إياكم أن تتزوجوا!). أعتذر، ربما أنت متزوج ؟

Twitter: @ketab_n

ـ لا .

ـ أوه ! من الأفضل لكما . الكاتب المتزوج يكشف في فنه أنه زوجٌ كارهٌ لهذه العلاقة . أقول دائماً : الزواج موت للحب .

ـ ورغم مبدئكم ، أنتم تزوجتم خمس مرات !

ـ صحيح ، دائماً ، يضحك ميلر ، لكن الآن انتهى ذلك ! أقسم على ذلك ! لا زواج بعد الآن ! الحب لا يذكر في العقد ، والزواج يؤدي إلى البؤس ، والأطفال . الحرية ثمينة جداً .

ـ انتظرت الثمانين من العمر كي تتخذ هذا الحل . . .

ـ التأخر أفضل من لا شيء ، أليس كذلك؟ وخصوصاً ، ينبغي أن أتخذ حذري ، أكرر على نفسي يومياً : (حذارى يا هنري من أن ترتكب حماقة أخرى !) لأني أحببت من جديد . . .

ـ خمّنتُ ذلك .

ـ كيف عرفت ؟ قال هنري مندهشاً .

ـ بالأمس . . . كنت تحمل جميع علامات الرجل العاشق .

ـ أنا بالفعل عاشق . هل رأيت كم هي جميلة ! ثلاثون عاماً . جاءت من الجنوب ، منذ سنوات ، كانت ملكة جمال أمريكا . تمثل أفلاماً في هوليود .

ـ هل تعيشان معاً؟

ـ لا ، تقطن هوليود غير أنها تأتي لزيارتي باستمرار ، أحياناً فجأة كما بالأمس . أعرفها منذ ثلاث سنوات : لم نتشاجر أبداً . رقم قياسي ، أليس كذلك ؟ أشعر بمزاج حسن صحبتها ـ وبيننا خمسون سنة من الاختلاف ! قد يعتبر بعض الأشخاص هذا الأمر فضائحياً . (أوه ، انظروا إلى هذا الخنزير العجوز مع هذه الممثلة الشابة !) . غالبية الأمريكيين يبدءون

Twitter: @ketab_n

الإحساس بالتقدم في السن انطلاقاً من سن الخامسة والأربعين. أما أنا فلم أبدأ العيش إلا في الخامسة والأربعين. تعرف، الحب مثل السعادة، يجب التشبث به في أي وقت، وضرب عرض الحائط بالفضائح ومنطق الآخرين.

ـ الآن هل تنام جيداً، قلت مفكراً في زمن (أرق) حين كان ميلر يقضي الليالي بيضاء تطحنه الرغبة في المرأة التي ستصبح زوجته الخامسة.

ينظر إلي ميلر حائراً في سؤالي.

فهمت أن ما فهمه كان عكس ما أردت السؤال عنه، فقد فهم (النوم) بمعنى ممارسة الحب. فات الأوان لتصحيح الأمر.

ـ آه، نعم! يتعجب ميلر، بعد هنيهة من الصمت. كان لي معها أحسن العلاقات التي لم أعشها مع أي امرأة أخرى. هذا غريب، الواقع يلتقي بالحلم لكن في نهاية حياتي. وفي كل يوم أقول لنفسي: (والآن كم بقي من الزمن ؟) من يعلم ؟ ثلاث سنوات على أبعد تقدير. أعرف أيضاً ممثلة أخرى صينية، منذ عشر سنوات لكن العلاقة بدأت تتدهور.

ـ حماسك من أجل الحياة، ربما هي وصفتك السحرية، وحسب المنجّم اليوناني: الوعد بالخلود.

ـ تعرف، قال ميلر بانفعال، وعدتني برنتا أنها ستحبني حتى بعد مماتي. أليس هذا إعجازياً؟

ـ سترسل لها قبلاً نجمية.

ـ إذا كان الحب بثاً كونياً، فسيحصل ذلك، أما إذا كان العكس، فسيكون الأمر صعباً.

ـ تأخر الوقت. لاحظت ذلك وأنا أنظر إلى ساعتي، ستأتي صاندي، لتطردنا خارج الباب.

Twitter: @ketab_n

يهمهم ميلر: متعة عظيمة أن يتحاور رجل عجوز مثلي وشاب مقبل على الحياة عن أشياء الحياة دون تلاكم أو تشاتم، ويجدان في ذلك كل الرضى.

ـ ممكن أن تكون هذه كلمة الختام، قلت بتأثر.

يجب أن أغادر البيت الأبيض لأوكامبو درايف، الغرفة المخضبة بالرسوم المائية، النقوش الشعرية للحمام، صوت ميلر الأجش والحلو.

صاندي تكتب على الآلة الكاتبة في الطابق الأول. عندما سمعت أصواتنا في الرواق ضاعفت الطقطقة. يتقدم ميلر نحو الباب معتمداً على الشيء الحديدي ـ الذي يتكئ عليه بكلتا يديه ـ. كنا ثلاثتنا صامتين.

ـ عندما أودع الأشخاص الذين أحبهم، أفكر في (إلى اللقاء). قال ميلر وهو يشد على كفي ويقبّل نينون.

ـ إلى اللقاء...

ـ وحياة سعيدة لكما معاً!

وبعد شهور معدودة مات ميلر، في التاسع من يوليو سنة ١٩٨٠.

Twitter: @ketab_n

سيرة المترجم

سعيد بوكرامي

ـ قاص وناقد مغربي من مواليد مدينة أبي الجعد سنة ١٩٦٥ .
ـ عضو اتحاد كتاب المغرب .
ـ المشرف على منشورات أجراس .
ـ حاصل على إجازة في الأدب العربي ودبلوم الدراسات العليا المعمقة .
ـ حاصل على جائزة القصة القصيرة الجامعية سنة ١٩٩٠ .
ـ دبلوم مركز تكوين الأساتذة .
ـ له عدة إبداعات قصصية ودراسات نقدية وترجمات في عدد هام من المنابر العربية المتميزة : الحياة الثقافية التونسية/ أبواب اللندنية/ آفاق اتحاد كتاب المغرب/ الطريق اللبنانية/ كتابات معاصرة اللبنانية/ نزوى العمانية/ عمان الأردنية/ ألف القبرصية/ أوان البحرينية/ البحرين الثقافية . / قاف صاد المغربية/ القدس العربي . .

• **صدر له :**

ـ تقشير البطل : مجموعة قصصية ـ منشورات دار الرابطة ، الدار البيضاء ١٩٩٦ .
ـ الهنيهة الفقيرة : مجموعة قصصية ـ منشورات مجموعة البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٢ .
ـ تلقي القصة القصيرة ـ مؤلف مشترك ، عن مجموعة البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٢ .
ـ ندف النار ، نصوص قصصية قصيرة جداً ، مؤلف مشترك بالعربية والإسبانية ، منشورات معهد سرفانتيس ومجموعة البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٣ .
ـ ضوء على الأرخبيل ـ مؤلف نقدي مشترك ، منشورات مجموعة البحث في القصة

Twitter: @ketab_n

ـ ضوء على الأرخبيل ـ مؤلف نقدي مشترك، منشورات مجموعة البحث في القصة القصيرة ٢٠٠٤ .

ـ مختارات من القصة المغربية الحديثة ـ مؤلف مشترك، منشورات سلسلة آفاق الكتابة، الهيئة العامة لقصور الثقافة في طبعتين ١٩٩٨/ ١٩٩٩ .

- **يعد للنشر :**

ـ الوعي السردي، دراسات في الأدب المغربي الحديث .

ـ أحلام وغبار وهسيس رمال . نصوص في أدب الرحلة .

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

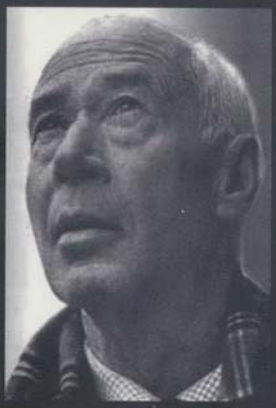

لم لا نلتقي ؟ يقترح عليّ هنري ميلر في إحدى رسائله.

وبعد أسبوعين وجدت نفسي عنده، أمام فيلته البيضاء الهادئة، عند الطرف الآخر من العالم، وذلك خلال شهر فبراير من عام ١٩٧٩ .

مروري صادف انتهاء الشتاء وبداية فصل الربيع. وهذا له دلالة رمزية عن العبور من أسطورة ميلر إلى ميلر بلحمه وعظمه وروحه.

كنت قد دخلت عالم ميلر الأدبي من خلال باب (مدار السرطان).

وكانت بالنسبة لي رَجَّة عنيفة وأنا في العشرين من العمر. هذه الرحلة في أقاصي التفسخ، هذه اللغة الفجة والمتوهجة التي تنسحق إلى حدود الرغبة.

ميلر بالنسبة لي يبقى خيالاً بعيداً، تقريباً أسطورياً، وعجوزاً خارقاً، وهو على بعد خطوتين من الموت، مسيّج بكتبه عن الحياة، ومدلل بموكب من اللوتيتات اليطانيات والمعجبين والغايشات اللواتي أغرتهن رائحة الدولار.

بعد عشرة أيام، وصلت رسالة ميلر. هل هو حقاً ميلر أم أنه رد من سكرتيرته أو إدارته ؟

لا هذا ولا ذاك. إنه هو بنفسه وبيده وبالحبر الأسود وبخطه المعتاد اللامبالي،وبلغة نصف إنجليزية ونصف فرنسية. لقد استطاع إذن أن يبتلع طعم الآخر.

هكذا بدأت المراسلات بيننا وبعد ثلاث من رسائلي.

أرسل إليّ رسالة يعتذر بأن لا أكون عنيداً، قائلاً: (تعرف. أنا غارق في العمل)

وذات يوم:(لم لا نلتقي ؟...)

تلفاكس: ٥٥٢٢٥٤٤ ● ص. ب: ٩٥٠٢٥٢ ، عمّان ١١١٩٥ الأردن